ذيبان الشمّرى



الطبعة الاولى

١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م




بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر

مؤسسة المدينة للصحافة


إيران
بين
طغيان الشاه
ودموية الخميني

إيران

بين

طغيان الشاه

ودموية الخميني

ايران عبر التاريخ

مدخل :

سأحاول فى هذا الكتاب ان اعالج موضوع الثورة الايرانية بنزاهة الباحث وتجرد المؤرخ وضمير القاضى ؛ وسأبذل غاية الجهد لاترك للعقلانية المحضة المحافظة على الموضوعية من كل شائبة من شوائب الهوى او العاطفة أو الانفعال ان سلبا وان ايجابا فالثورة الايرانية هى ثالث الثورات التى شهدها التاريخ الحديث منذ اواخر القرن الثامن عشر حتى يومنا هذا .. فهى ترتفع الى مستوى الثورتين الفرنسية والروسية .. علما بانها بالنسبة لى كمسلم تتجاوزهما اهمية ومغزى ، اذ انها رفعت شعار الاسلام وزعمت بأنها تهتدى بعقائده ، وتسترشد بسننه ومبادئه ، لذلك فليعذرنى القارىء ، اذا لمس شيئا من توتر يتردد من خلال كلمة رافضة او جملة مفجوعة ، انها رفض العقل للمكابرة وتفجع القلب على امل خنقته الخيبة بحبل الجهالة .

ولكن كيف تمكن الخمينى وثورته التى تحولت الى مأساة من ان يسقطا نظاما كسرويا عريقا احتفل الشاه ذلك الاحتفال الباذخ المشهود بمرور الفين وخمسمائة سنة على مولده وذلك فى برسيبلوس كما نذكر ؟ وكيف انحرف الخمينى بثورته عن الجادة وخرج بها على سماحة الاسلام وتراحم المسلمين وسلحها بمخالب الضغينة وانياب الحقد ؟

عن هذين السؤالين سأجيب فى هذا الكتاب إجابات تتناول المواضيع التالية :

اولا : النظام الشاهنشاهى ..

ثانيا : الثورة من النضال الى النصر ..

ثالثا : ايران الى اين .. ؟

أولا : النظام الشاهنشاهى :

أ - نرجسية الشاه :

ان الانظمة لاتسقط ، بل تنتحر ، وان انتحارها يحدث حينما يصر القائمون عليها على العيش خارج دائرة التاريخ ، فيعلنون بذلك الحرب على طبيعة الاشياء ويفقدون ملكة التمييز بين الممكن والمستحيل وبذلك يقطعون كل صلة لهم بعالم الحقيقة والواقع ..

ومن اهم المفارقات المأساوية فى العصر الحديث ، ان الشاه اراد وفى القرن العشرين ان يتمتع بامتيازات الاكاسرة وحقوق القياصرة وقداسة الميكادو .. أفليس هو الشاهنشاه ، ملك الملوك ، وأليس هو أريا مهر ، نور الشمس ؟

والحق ان لقبه هذا كفيل وحده بايقاظ اشد انواع النرجسية غباء وحماقة .. ولاخلاف ان النرجسية اذا تعهدت الانسان فكرا وسلوكا ، فعندئذ تفصله عن الواقع بأسوار من الغطرسة والاستعلاء وتعطل كل طاقاته للتسامى نحو الأفضل ، وتشل عقله وتحرر غرائزه وتقلب موازينه ، فتريه النصح نقدا وتجريحا .. والهداية تطاولا صريحا ..

ومن افتك سموم النرجسية انها لاتسمح لغير الكذب والنفاق والتهريج بالنفاذ من اسوارها ، الامر الذى يعمى الاعين عن نذر الكارثة ولذلك ماكاد الشاه المخلوع يحط على ارض مصر حتى بادر الرئيس انور السادات ناصحا وقائلا : « اياك ثم اياك الاعتماد على مستشاريك وعيونك ، بل فلتخرج بنفسك الى الشارع ولتجس بيدك نبض الشعب ».

ولكن النرجسى لاتوقظه النذر ، بل الكوارث وهكذا وجدت الشعب الايرانى يخرج الشاه من كافة الاراضى الايرانية قبل ان يخرج المسكين الى شوارع طهران وارياف ايران ..

ب) هل ثمة امة ايرانية ؟

لاخلاف ان الوحدة الروحية هى التى تصنع الامة وان الحس الجماعى قبل اى شىء اخر هو المظهر الاساسى لممارسة الأمة لوجودها لذلك فان القوة المادية العارية تكون وتبقى عاجزة عن تجسيد كيان الأمة اذ ان وسيلتها تكون الاخضاع لا الاقناع . الامر الذى يعنى ان ثمة خروجا عنيفا على مسار التاريخ وقوانينه الحضارية .

فلنتأمل فى مركب الأمة الايرانية ولنتساءل عما يكـونه ذاك العـامل الذى جعـل من شعـوب مختلفـة اللغـات والتقـاليـد كاذ بيجـانيين والاتراك والاكراد والبلوش والعرب وحتى الارمن امة واحدة .. لاشك ان ذلك العامل هو الجيش اى القوة المادية العارية ، فالجيش كان ويبقى الاطار الجغرافى لما نعرفه بـاسم ايران ، علما بان والد الشاه الراحل ، حاول اصطناع قـومية جامعة بين الشعوب الايرانية هى القومية الآريـة ، وقد كـرس المحـاولة حينما بـدل فى عام ١٩٣٥اسم بـلاده من فارس الى ايران ، اى موطن الآريين .

ولكننا جميعا نعلم بان عامل العنصر وحده ولاسيما اذا كان ضبابيا كالعنصرية الآرية لايكفى لاعطاء مجموعة من الشعوب او القبائل هوية قومية ، أى هوية الأمة وذلك لأن الامة هى نتاج تفـاعل مختلف العنـاصر الحضاريـة طوال حقب مـديـدة من التـاريخ .. ولكن رضـا بهلوى كان يـوم ذاك شديـد التـأثـر بالعنصرية التى طغت على اوروبـا خلال الثـلاثينات من هـذا القرن .. حيث اصبحت الآرية على يدى هتلر الوثن المعبود ، كما اتـخذ ايضا من كمال اتاتورك القدوة والمثـل ولاشك ان كمـال اتاتورك ، هو الذى بلـغ بالقومية الطورانية هدفها النهائى الماثل فى الغاء العثمانية الاسلاميـة اللون كعامـل توحيـدى بين امم وشعوب الامبراطورية العثمانية ، بديلا عن الاسلام ، وبالحرف اللاتينى بديلا عن الحـرف العربى .

التوحيد الارغامى :

ولكن العنصر التركى يشكل الأكثرية الساحقة من سكان تركيا .. كما ان اللغة التركية هى لغة هذه الاكثرية زد على ذلك ان لهذه الاكثرية تاريخا واحدا منذ ان اصبحت القسطنطينية « استنبول » فى عام ١٤٥٧م عاصمة للاتراك الذين حينما توسعوا فى فتوحاتهم لم يجدوا افضل من الدين الاسلامى كعامل توحيد بين الشعوب التى اخضعوها فى المشرق لذلك كان لابد للامبراطورية العثمانية من التفكك ومن ثم الانكماش فى دولة تركية حينما تخلت عن الاسلام واستعاضت عنه بالقومية والعلمانية ..

أما فى ايران فان العنصر الفارسى لايشكل اكثر من اربعين بالمائة من سكانها .. ولما كانت العلمانية رفيقا ملازما للقومية وكانت الآرية قومية ميتة بالنسبة لسكان ايران ، ولم يكن ثمة تاريخ مشترك بين شعوبها ماعدا الاحتراب والحروب ، لذلك فان الاتجاه القومى العلمانى كان يفرض التوحيد الارغامى لا الوجدانى الامر الذى مارسه والد الشاه وهكذا وجدت رضا بهلوى يشن اعنف هجوم على الدين وعلى صروحه وشاهدت سنابك خيله تقتحم المساجد وتدوس المصلين ورأيته يدفع بزوجته شمس الملوك للخروج سافره الى الناس وبفرض السفور على نساء ايران وينتهى الى اعلان الحرب العلمية .. ولذلك نستطيع القول وبأطمئنان ان جميع ماشهدته ايران منذ تربع رضا بهلوى على عرش الطاووس ، حتى خلع ابنه محمد ، من ثورات واضطرابات داخلية ، انما كان المظهر الاساسى من

مظاهر الصراع بين المسجد والنظام الامبراطورى بين الحسينية والثكنة العسكرية فالقومية والعلمانية المصطنعة كانت الطيف الديناميكى للاحداث فهى التى حركت الرواسب القومية فى نفوس الشعوب الايرانية فأيقظت القومية الكردية وكذلك التركية والبلوشية وابقت على النوازع العربية فى عربستان المعروفة اليوم بخوزستان وقد اتضح للساسة العمليين الايرانيين ان الدين لا القومية الآرية البائدة ، هى عامل الوحدة الوحيد بين الشعوب فى ايران وقد حاول هؤلاء الساسة ان يعقدوا نوعا من حلف بين والد الشاه المخلوع وبين رجال الدين لكن رضا بهلوى ركب رأسه وتابع مساره القومى العلمانى فى ظروف دولية ساعدت على تعطيل الكثير من الالغام التى اعترضت طريقه داخل ايران فالظروف الدولية فى اواخر العشرينات وفى الثلاثينات من هذا القرن كانت تثير الرعب فى الغرب من ابتلاع الشيوعية السوفيتية لايران ولاسيما ان لبعض الشعوب الايرانية امتدادات عرقية داخل الاتحاد السوفيتى كالاذربيجانيين والاكراد مثلا ، وهذا مما جعل الغرب ولاسيما بريطانيا ترى فى رضا بهلوى الشخصية الواجب دعمها لصد زحف الشيوعية الى الهند والبحار الدافئة ولتحويل ايران الى دولة عازلة - *BUFFER* اذا لم يكن بالامكان تحويلها الى دولة حليفة .. كما رأت بريطانيا ايضا ان دعوته الى القومية الآرية العلمانية ، والابتعاد عن الاسلام امران يساعدان على تخدير العواطف الاسلامية فى الهند ، ويكبحان من جماح تطلعات المسلمين الهنود اضف الى ذلك ان نظام رضا بهلوى كان تقريبا يتطابق شكلا ومحتوى ونظام مصطفى

اتاتورك ، وكانا يلتقيان بحكم طبيعتهما على العداء للسوفيت من حيث دعوتهما الى القومية ومحاربتهما للشيوعية ،ولذلك كان يلقى الغزل المكشوف بين رضا وهتلر ، من لدن الغرب ، تسامحا وتشجيعا لا بل مكافأة ايضا ، حيث اهدته بريطانيا مشيخة عربستان الغنية بآبار النفط .

وقد بقى رضا بهلوى والد الشاه المخلوع متربعا على عرش الطاووس ومستمتعا برضاء الغرب ، لابل وبمساندته ايضا حتى عام ١٩٤١ ، حينما غزت القوات البريطانية والسوفيتية ايران فخلعته عن عرشه ونصبت ابنه محمدا شاها جديدا ..

ج) الابن على خطى ابيه :

تحت شعار تحديث ايران تحول رضا خان من نادل « خادم فى مطعم » الى جندى ومن ثم الى ضابط قفز من الثكنة الى القصر الملكى فخلع احمد شاه وتربع مكانه على عرش كسرى ..

وانسجاما مع رضا خان والتقاليد الفارسية التى تنص على ضرورة وجود عائلة مقدسة تتولى شؤون الدنيا والدين اختار النادل « الخادم فى المطعم » لشخصه ولذريته اسم بهلوى وهكذا اصبح معروفا باسم الشاهنشاه اريا مهر رضا بهلوى .. لم يخلف رضا بهلوى لابنه عرشا فقط ، بل اورثه منهاجا اساسه التناقض وهيكله المفارقة ، وبدلا من ان يعيد الشاه النظر فى ارثه اعتمد ذلك الارث واعتبره تراثا جديرا بكل استلهام واسترشاد ، فحاول تشذيب الجسد الايرانى تشذيبا يتناسب والنظام القائم بدلا من تعديل النظام الموروث تعديلا ينسجم وطبائع الشعوب الايرانية ويتناغم وعقيدتهم الاسلامية وبذلك ضرب عرض

الحائط بابسط قوانين الاجتماع وانجر الى حرب خاسره سلفا ضد طبيعة الاشياء فصح فيه القول « الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون » ..

ومن حسنات الحرب العالمية الثانية بالنسبة للشاه الجديد ، كونها قد اجلت انفجار التناقض فى النظام الشاهنشاهى ولكن تأجيل القضية لايعنى ابدا حلها ، بل يعنى فقط تناميا فى مخاطرها وتوالدا فى اخطارها وتزايدا فى اهوالها ، واخيرا انفجارها ذلك الانفجار المدمر للدار والمهلك للديار .

انتهت الحرب العالمية الثانية ، وبعد مساندة جدية من الولايات المتحدة الامريكية والغرب عامة ، انتصر الشاه فى معاركه ضد الاتحاد السوفيتى ابتداء من معارك الامتيازات البترولية فجلاء السوفيت عن ايران ، وانتهاء بالقضاء على الحركة الانفصالية فى اذربيجان الايرانية ، وبعد فترة من التقاط نفس ، خرجت مشاكل ايران تسعى من جحورها واصبحت قضايا محاطة بالاطر المذهبية وملونة بالالوان الايدولوجية فالحرب العالمية الثانية لم تخلف وراءها فقط الموت والدمار ، بل اصطنعت ايضا للسياسة اجواء ومفاهيم جديدة واستحدثت مذاهب وشعارات لم يسمع بها الشرق من قبل .

واغرقت شعوبه بطوفان من كتب وافكار ذات قدرة هائلة على الاستهواء ولاسيما استهواء البسطاء من الناس .. وبذلت كل جهد ممكن لاستئصال الاسلام من الشرق واعلان افلاسه نظاما وتراثا . وهكذا وجد الشاه الشاب نفسه .. ونتيجة لمنهاج والده بين فكى كماشة ، بين الاسلام الذى استعاض رضا بهلوى عنه

بالعلمانية وبقومية ميتة ، وبين مذاهب وافدة متعددة الاسماء براقة الشعارات سديمية المحتوى وطيعة بيد الحاكم باسمها والمستظل بشعاراتها وبارعة فى التكيف واهواء الدهماء وفى اللعب على طموحاتها الغامضة وذلك لان لأصحابها هدفا اوحد هو السلطة ومنهاجا وحيدا هو الاستيلاء عليها ، وسياسة واحدة هى الاستمساك بها فى كل ظرف وحال حتى ولو اضطرهم ذلك لتدمير المدن على رؤوس النساء والاطفال والشيوخ والرجال ..

وقد اعتنق تلك المذاهب الوافدة اشباه المثقفين من المتعلمين وغير الأميين وتسموا بالثوريين وتوزعوا بين شيوعيين واشتراكيين وفوضويين وحتى ديمقراطيين ، ولكنهم التقوا على هدف واحد هو نسف النظام القائم وتقويض اركان عرش فارس وقد وجدوا لدن الشيوعية الدولية واحيانا لدن الغرب كل تشجيع واسناد ..

ومن الطريف ان هؤلاء رفعوا بدورهم العلمانية شعارا ، الامر الذى كان يجب ان يعنى انهم يلتقون والشاه منهجا لكن علمانية هؤلاء كانت فى واقعها تنبع من حيث يدرون او لايدرون ، من الماركسية اى ان مولد ديناميكيتها الاساسية كان مبدأ الصراع الطبقى وكان هدفها الاولى الاستيلاء على السلطة وكان اسلوبها فى السياسة الشغب والعنف ..

الى ذلك المأزق الخطر آل الشاه الجديد،فقومية ابيه المصطنعة فصلته عن الشعوب الايرانية المسلمة ، وعلمانيته المستأثرة ، كانت اضيق من ان تتسع لثورية المستجدين فى السياسة وفوضوييها ونرجسيته العمياء جعلته مكابرا فى الحق لاباحثا عن

الحقائق وغريزة الحفاظ على البقاء ارغمتـه على الاعتمـاد على منطق القوة ، اى الاخضاع لا الاقناع فانتهى الى ما انتهى اليه والده ، اى الى الاعتماد المطلق على الجيش فأصبح للجيش امة بدلا من ان يكون للأمــة جيش واصبحت القوة هى التى تفسر الحق وتحدد مفاهيمه ، وبذلك غدا العقل خاضعا للارادة بدلا من ان يكون سيدها ومرشدها ..



الخمينى من أين والى أين ؟!

أ - معقولية التاريخ :

لم يتعظ الشاه بالتاريخ ، ولربما لم يقرأه .. وان كان قد قرأه فهو تأكيدا لم يستنطقه .. فالشاه تجاهل التاريخ واستعلى على معقوليته ..

لقد كان يكفى الشاه لتجنب مصيره الفاجع ان يتمعن فى تاريخ بلاده وان يدرس نفسية امته وان يتأمل فى الثورة التى عصفت بايران بين عامى ١٩٠٥ و ١٩٠٩ .. وكان من اليسير عليه وعلى مستشاريه ان يستلهموا تلك الثورة كيفية امتصاص الاحداث التاريخية واسلوب التعامل والبشر .. ولو ان الشاه فعل ذلك لما كانت ثورة الخمينى قد شقت طريقها من المساجد والحسينيات الى الشوارع والثكنات وطوحت به وبأسرته ونظامه .. او لما كانت الثورة والخمينى معا .. قد فرضا نفسيهما على التاريخ ..

ومن المفارقات المحزنة ان الخمينى لايختلف والتاريخ حالا عن الشاه فالخمينى كما يبدو لى يجهل او يتجاهل الدور الهدام الذى قام به الشيخ فضل الله نورى ، وكذلك المصير المأساوى الذى آل المذكور اليه بعد انتصار دستور ١٩٠٩ وخلع الشاه

الكاجارى محمد على شاه وتنصيب ابنه الطفل احمد شاها جديدا بدلا من ابيه .. وعلى الرغم من اختلاف ظروف الخمينى وظروف فضل الله نورى من حيث الزمان والبنية الطبقية للمجتمع الايرانى فان الموضوع الذى عبأ جماهير الامة الايرانية وحشدها يومذاك حول الشيخ فضل الله نورى ، هو الموضوع ذاته الذى جعلها تلتف بالامس حول الخمينى ودعوته .. واعنى بذلك الموضوع الحرية المضمونة دستوريا والمحترمة حكوميا والممارسة شعبيا .. ولكن الخمينى لم يتعلم حتى كتابة هذه السطور ان التاريخ بالاضافة الى كونه مرشد العقل فى فهم الماضى على اضواء الحاضر فانه ايضا المرشد فى صنع المستقبل من الحاضر على اضواء الماضى .. فالشيخ فضل الله نورى عندما انقلب على الدستوريين الايرانيين فى مطلع هذا القرن واعتبرهم فوضويين وملاحدة ، وانضم من حيث اراد او لم يرد ، الى صف الشاه الكاجارى كما فعل اية الله الكاشانى اثناء انتفاضة مصدق فانه لم يشق الامة الايرانية الى معسكرين فقط : معسكر رجال الدين ومعسكر العلمانيين او الليبراليين بل شق ايضا كل معسكر من ذينك المعسكرين الى شراذم وطوائف وجماعات ، الامر الذى مكن ذلك الضابط المغمور رضا بهلوى من الوثوب من الثكنة على الدستور والغائه والتربع على عرش الطاووس ، ومن ثم فرض سيطرة الثكنة على المسجد والحسينية وفرض ديكتاتورية عسكرية طاغية على شعوب الأمة الايرانية واخيرا الغاء الوجود المعنوى للأمة والاستعاضة عنها بالقوات المسلحة الايرانية .. ذلك كله جاء نتيجة لانحراف فضل الله نورى عن

الجادة وتعطيله لركب الحرية ، ولمناصرتـه من حيث يدرى او لايدرى الاستبداد على التحرر ، الامر الذى يرغمنا على القول ونحن نشهد مآسى ايران الخمينية ، انه ليس ثمة انسان يسمح له منطقه الوجدانى ، بالتصدى للدفاع عن الخمينى الذى شق ايـران ايضا الى معسكـرين معسكـر رجـال الدين ومعسكـر العلمـانيين كمـا اشاع ايضـا الانقسام فى مختلف المرجعيات الدينية ، بدليل ماحـدث لآية الله شـريعة مدارى ولغيره من الآيات ، وموقف هؤلاء وذاك من نظام الخمينى .. اضف الى ذلك انفضاض الانتلجنسيا باكملها من حول النظام ، واعتماد النظام كليا ، على الحرس الثورى الاسلامى الذى امسى اليوم هدفا لكل نهاز أو صياد ، ومما لاشك فيه ان النظام الايرانى الحالى يعيش فقط بسبب عدم تكامل واكتمال القوة . التى تملأ الفراغ الذى سينجم عن سقوطه وليس بسبب قواه الذاتية ، الامر الذى يمهد كـل سبيل لوثـوب الجيش عـلى السلطة او لاستيـلاء اليســار الايرانى المتمحور حول حزب توده والمدعوم بالاتحاد السوفيتى على مقاليد الحكم ..

ب - اللامعقول والمعقول :

تقول الفلسفة المادية بالحتمية التاريخية .. الامر الذى يعنى انعدام حرية الارادة وكذلك حرية الفعل ، اى عجز الانسان عن الخيار بين الصالح والطالح ، مما يعنى انعدام العقل والمعقولية الانسانيين فى التاريخ احداثا ومجرى ، كما يعنى ايضا سقوط مبدأ الثواب والعقاب بصيرورة الانســان اداة للفعل لافـاعلا للفعل ..

وهكـذا نسمع اليـوم بعض الماديـين ولاسيما المـاركسيـين الايـرانيين من اعضـاء حزب تـوده يبـررون افعـال الخميني وانحرافاته بقولهم بان مايفعله انما يفعله بحكم حتميات المرحلة التاريخية التى تمر بها الامـة الأيرانيـة ، ولكن مقولتهم هـذه يرفضها الدين وحتى منطق القرن العشرين ولاسيما بعـد ان تـراجعت عقلانيتـه الماديـة عن معظم مسلمـاتها وقـواعدهـا المنطقية ، الأمر الذى اتضح بجلاء من خلال الاحداث الحقبية التاريخية التى اخرجت الى العالم الاتحاد السوفيتي والصـين وعددا عديدا من دول العالم الثالث فى اشكال الانظمة التى نراها الآن .. ولكن ما العمل ودغمائية اليسار الشرقى الذى مـازال حتى يومنا هذا يجتر الفتات الذى تساقط من موائد المادية فى القرن التاسع عشر ..

لذلك اقول انه ليست ثمة حتمية او حتميات تاريخيـة ، بل هناك حركة تاريخ تتجه بمواكب البشرية دائما الى الامام ، وعلى الرغم من ان محاولات كمحاولات الخميني او غيره قد تعطل ركب الانسانية ، لبعض الوقت عن سيره او قد تجمد الانسان فى مكانه او تعود به الى ماض طواه التاريخ بغباره غير ان عقلانية الانسان الماثلة فى معقولية التاريخ والمتساميـة دائما نحـو الله ، تدفـع بالموكب ابدا نحو الأفضل ..

وتتجلى احيانا حركة التاريـخ هذه من خـلال الصراع بين نرجسية الانا المجنونة وبين عقلانية النحن ، اى بين المستحيل استمراره وبين المؤكد انتصاره بين الطغيان وبين الحرية ، بين الطاغية وبين الأمة ، بين اللامعقول وبين المعقول .. ومع اننـا

نسلم بان الاحداث الحقبية التاريخية مسرحيات يؤلفها العقل ويخرجها فى معظم الاحيان الجنـون ، ويمثلها غـالبا التعصب والجهالة والغباء ، غير ان ما اجتمع للبشرية طوال قرون وقرون ، من دروس وتجارب وعبر لايسمـح للخميني ولغير الخمينى من الذين تتقمصهم الاحداث الحقبية التاريخية كالثورات مثـلا ، بان ينحرفوا عن عقلانية الانسانية ومعقولية التاريخ الهادفة الى اقامة مجتمع العقل ، اى مجتمع الحرية وذلك لان العقل وحده هو منبع الحرية وناظمها ، اذ انه ميزان الحق والواجب .. وهو وحده القادر على اقامة التوازن بينهما .. وهكذا تكـون الحياة الحرة هى الحياة المعقولة ذات الارادة المعقولة والفعل المعقول .. وان مثل تلك الحياة هى وحدها القادرة على حماية الفرد والمجتمع معا من عبثية الفوضى وغباء الطغاة وعدمية الطغيان .. وذلك لان سيادة العقل تعنى فقط سيادة الحرية بتحرر النظام من هواجس الانا وطغيان الشهـوة وقلق الغريـزة وتحرر الفـرد من انفعال التعصب ومخاوف الجهالة وتهور الغباء .. وتعنى ايضا الارادة المعقولة تلك التى لاتسمح الا بالفعل المعقول الامر الذى يعنى انبثاق الفعل عن العقل وممارسة العقل للفعل والارتفاع بالفـاعل الى مرتبة الحرية اى مرتبة العقل ، هذه المرتبة التى الغاها الخمينى حين اسلم زمامه للقوة النزوعية : FACULTE APPETI-TIVE لا للعقل ..

ج - القوة النزوعية :

يقول افلاطون ان اقوى الشهوات هى شهوة الحكم اذ ان

اشباعها يعنى الاستمتـاع والتمتع بجميـع اللذائذ .. وهكـذا نسمـع افلاطون يحـذر من طغيـان هـذه الشهـوة وينـذر من جبروتها ، والحق ان افـلاطون قد اصـابَ كبد الحقيقـة فيما قـاله .. وذلك لان جميـع الانتكـاسـات والنكبـات التى نـزلت بالانسانية طوال تاريخ تساميهـا نحو الافضـل انما تعـود الى مانسميه بالقوة النـزوعية .. وان هذه القوة كما نعلم هى القوة المحركة للنفس البشرية وهى جماع قوتى الشهوانية والغضبية ولذلك فاننى ارى ان ماخالته الفلسفة المادية من حتميات تاريخية فانما هو فقط نتائج حتمية لسيطرة القوة النزوعية لا العقل على الحاضر ، ومن ثم حلول هذه القـوة محل العقـل وارادته .. فى التعامل والحاضر بوقائعه وامكاناتـه وهنا تنحـرف هذه القـوة بالاحداث التاريخية عن اهدافها وبالتاريخ عن مجراه .. ولكن انحرافها هذا لايستمر طويلا حتى ولو جاءت بعض محـاولات تصحيحه بالمزيد من الانحراف وذلك لان العقل ينتهى اخيرا الى تصحيح مجرى التاريخ ومسار احداثه ..

ولاجدال ان القوة النزوعية لاتستطيع ان تستولد التاريخ غير المآسى والنكبات .. فالشهوة بطبيعتها نزاعة الى الاغتصاب اى الى الظلم والعنف .. وهى حينمـا تركب غـارب الغضب تعمى البصيرة والبصر وتتدحرج براكبها ومركوبها وحتى بمرودفها الى قعر الهاوية .. وهذا ماحدث لايران بثورتيهـا الجهيض منهما والخديج ثورة ١٩٠٩ وثورة الخمينى التى اختنقت بابخرة القوة النزوعية واغرقتها الشهوة والغضب فى نقائع الدم .

ومن اشد شرور القوة النزوعية كون صاحبها يكره ان يرى

حوله الفضيلة والفاضل والموهبة والموهوب فالفضيلة تستثير حسده والفاضل يستثير نقمته اما الموهبة فتثير فى صدره الخوف والموهوب يستثير فى فؤاده الرعب ، لذلك يكون اول ضحاياه الموهوب الفاضل الامر الذى يبدو واضحا كل الوضوح من التصفيات الجسدية التى مارسها الخمينى ونظامه والحق يقال انه لم يسبق ابدا لاى زعيم ثورة ان اجتمع حوله من افاضل المثقفين ماااجتمع منهم حول الخمينى وثورته ..

واننى لن اتجنى على الحقيقة اذ اقول ان الانتلجنسيا الايرانية وعلى مختلف مشاربها .. ومذاهبها .. قد اتخذت من الخمينى قطبا وحيدا لرحاها .. وكان بامكان الخمينى ان يكون ويبقى فوق كل تيار او ايدلوجية ومرجعا او حدا عند كل خلاف .. وفيصلا فى كل تصادم .. ومنارا للحرية ومرشدا للاحرار لا فى ايران وحدها بل وفى كافة اقطار العالم الثالث الذى استقبل ثورة الخمينى استقبال اليائس لعراض الامال .. لقد فتح التاريخ امام الخمينى اوسع ابوابه ودعاه الى رحابه وقدم اليه قلمه وكتابه ولكن الخمينى لم يسجل فى كتاب التاريخ غير خيبة امل امته وخيبة امال شعوب العالم الثالث بشخصه وثورته ونظامه فالخمينى لم يستطع بحكم فطرته ان يرتفع فوق مستوى القوة النزوعية الى مستوى العقل فكان لابد له من ان يترك للاعدام والسجون والمنافى ان تتوزع فيما بينها الازاهير من الشباب الايرانى المثقف المسلم ، وان يسحق بمطرقة طغيانه الغبى كل فضيلة وفاضل وكل موهبة وموهوب : فالطغيان لايرتاح الا للرذيلة والرذيل والطغاة لايطمئنون الا للتفاهة والتافه وذلك لان

كل طاغية تـافه ومـرذول .. ولكن ماهى الاسبـاب التى دفعت بالخمينى الى الانحراف عن جادة العقل وبحكم ذلك عن جادة الحرية والاحرار .. وجعلت اسمه مرادفا للطغيان والنزوعية بعد ان كان مرادفا للحرية والعقل ..

د - عوامل الانحراف :

ان انحراف الخمينى عن الجادة وتعطيله لموكب الحـرية فى ايران ، وفرضه ذلك النوع الرهيب من نظام الحكم على الشعوب الايرانية وخروجه على مبدأ الشورى الاسلامى وعـلى قواعـد الديمقـراطيـة من اسـلاميـة ووضعيـة ، ووضعـه السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فى شخص الفقيه اى شخصه .

وتخـويله دستوريـا حق عـزل رئيس الجمهـوريـة المنتخب شعبيا ، وسلطة اقالة الحكومة وحل مجلس الشورى الامر الذى يجعله فوق الأمة تمثيلا وسلطة ومن ثم نص الدستور على أن يكون الفقيه ايضا القائد الاعلى للقوات المسلحة ، وعلى كيفية انتخـاب الفقيه والهيئـة التى تنتخبـه ، وتكـريسـه من حيث الممارسة ، والاجـراءات الفعلية ، المبـدأ الشاذ عن كـل عرف دستـورى او تقليد فقهى والقـاضى بعدم مسـؤولية من يحكم وبمسـؤولية من لايحكم الامـر الذى يسقـط مفهـومى الحكم والمسؤولية معا .. ويطالبنا بصورة ملتوية بالعمل بمبـدأ الحق الالهى الذى زعمه حكام اوروبا لانفسهم فى القرون الوسطى ..

ذلك الحق المزعوم الذى اسقطه الاسلام بزمن طويل قبل ان يسقط تحت سكين مقصلة الثورة الفرنسيـة اذ ورد فى القرآن

الكريم قوله تعالى « وامرهم شورى بينهم » وورد ايضا فى الحديث الشريف « يد الله على الجماعة ، وكذلك امتى لاتجتمع على ضلالة » ولكن الخمينى يتجاهل هذه القواعد الاساسية فى نظام الحكم الاسلامى ويخرج عليها قولا وفعلا بنظريته فى ولاية الفقيه .. فماهى العوامل فى انحراف الخمينى بجمهوريته عن منطوق الشرائع السماوية ومنطق التشاريع الوضعية ؟

ان تلك العوامل كما ارى ثلاثة :

الأول : العامل التاريخى .

الثانى : العامل الثقافى

الثالث : العامل النفسانى

واننى هنا سأقدم عجالة من تحديد ووصف للعوامل الثلاثة الآنفة الذكر ..

١ - العامل التاريخى :

شهدت ايران الحديثة منذ مطلع هذا القرن حتى يومنا هذا ، ثورتين اثنتين وانتفاضة واحدة .. والحق ان هذه الاحداث التاريخية السالفة الذكر تشكل ثلاث حقبات تاريخية بكل مالكلمة الحقبة من معنى ومفهوم تاريخيين .. فالثورة الاولى عام ١٩٠٩ : تمثل نهاية حقبة اسرة الكاجار وبداية المرحلة الانتقالية الى الحقبة البهلوية التى بدأت برضا شاه والد الشاه المخلوع وانتهت بانتفاضة مصدق ، حيث كانت هذه الانتفاضة بداية

المرحلة الانتقاليـة الى الحقبة الثـالثة الا وهى حقبـة الثـورة الخمينية .

والحق ان الامانة التاريخية تلزمنا بان نعتـرف بان الشــاه محمد رضا بهلوى بذل غايـة الجهد خـلال المرحلة الانتقـالية المذكورة آنفا للنهوض بايران والارتفاع بها الى مصاف الدول الغربية فقد انعطف بايران نحو التصنيع ، وسعى الى انشـاء قوات مسلحة ضخمة وحمل ايران الى عتبات عصر التكنولوجيا ، واشتـرع قانـون الاصلاح الزراعى وقـام بثـورتـه البيضـاء المشهـودة ، ولكن جميع هـذه المنجزات الفـذة والاصلاحـات الاقتصادية والاجتماعية الجذرية تقـريبا لم يـرافقها اصــلاح سياسى اى تقدم نحو المزيـد من الحريـة والمشاركـة الشعبية الحقيقية فى الحكم الامر الذى افقد نظام الشاه توازنه وجعله يعيش فى حال من انعدام الوزن ، فكان حينذاك لابد من تصحيح الاوضاع فجاء الخمينى بثورته ليصحـح ما انحـرف فاذا بـه ينحرف بكل ما استقام وان السبب فى ذلك يعود فقط الى العداء التاريخى التقليدى .. بين الآيات والعلمانيين فالاحداث الحقبية الثلاثة أى الثورتان والانتفـاضة انما حدثت فقط نتيجة للتعاون بين الآيات والعلمانيين من برجوازيين على مختلف طبقاتهم وملاك وعمال وطلبة وفلاحين .. ولكن الآيات كانوا سرعان مايغدرون بالعلمانيين حالما يلمسون ان زمام القيادة قد افلت من ايديهم وامسك به العلمانيون وقد اتضح هذا الأمر من غدر الشيخ فضل نورى بثورة عـام ١٩٠٩ وغدر ايـة الله الكاشـانى بانتفـاضة مصـدق ، ومن ثم تصفية الخمينى لجميـع العلمانيـين الذين

تعاونوا معه على انجاح الثورة ابتداء بمهدى بازركان فالاميرال احمد مدنى فابو الحسن بنى صدر ، فاغتيال مصطفى تشمران فاعدام صادق قطب زاده ف .. ف .. وذلك لأن الآيات وعلى رأسهم اية الله روح الله الخمينى ، لم ولن يكتفوا بجوهر السلطة بل انهم عازمون على الاستئثار ايضا بمظهر الامر الذى لم يكتشفه العلمانيون الا بعد فوات الاوان ومن المحزن ان العلمانيين ايضا لم يقرأوا التاريخ ولم يتعظوا به على الرغم من ان اكثريتهم الساحقة كانوا من اعوان مصدق وانصاره ، وعاشوا مأساة غدر الكاشانى بهم بكل فصولها ومع ذلك كله سقطوا فى الشباك التى نصبتها لهم باطنية ذلك الثعلب بهشتى ، الذى تمكن بمباركة الخمينى من شق صفوف الليبراليين وتشتيت شملهم .. لقد كان من المتوجب على العلمانيين ان يقفوا منذ البدء فى اشتراع الدستور موقف المعارض العنيد لمبدأ ولاية الفقيه .. وذلك لان موافقتهم على ذلك المبدأ الدستورى كانت بمثابة الاستسلام غير المشروط لدكتاتورية الآيات .. لكن بريق المناصب المفرغة الفارغة جعلتهم يسارعون الى مدينة قم للتمسح باذيال الخمينى وتقبيل يده راحة وظهرا ، وهكذا اسلموا ايران الى طغيان اشرس بكثير من طغيان الشاه .. اذ انه طغيان الجهالة على العلم وطغيان التعصب على التسامح وطغيان الهلوسة على العقل ...

ويجدر بى ان اشير الى اننى استعملت هنا نجوزا مصطلح علمانى وعلمانية .. ففى الاسلام لايجوز تقسيم المسلمين الى رجال دين وعلمانيين وذلك لانه ليست فى الاسلام ثمة كنيسة

ولاكهانة ولاطقوس .. فكل مسلم متمتع بحواسه الخمس ومتفقه في شؤون دينه ودنياه نعم دنياه اذ ان الاسلام دين ودنيا ، يحق له القيام بوظائف الامام في الصلاة والمرشد في الحياة ، والمفتي في شؤونها .. لذلك فان النظام الهرمي المعمول به لدى غلاة الشيعة والمتطابق كليا والاكليروس من حيث مراتبه لم يعرفه الاسلام لا في فجره ولا في صدره .. ولما كنا جميعا نعرف نطاق ثقافة الخميني ونعرف ان دائرة معارفه لاتضم حتى الان الكثير من معارف العصر وعلومه ونعرف ان العالم المسلم ينبغي ان يكون اوسع شمولية من العالم اللاهوتي .. اذ ان العالم المسلم يجب ان يكون محيطا بعلوم الدين والدنيا معا .. نظرا لان الاسلام دين ونظام ونعلم مدى انطباق هذه الشروط على الخميني ونعلم مدى معاناة الآخرين لذلك كله سأتجاوز استعراض العامل الثقافي في انحراف الخميني عن الجادة الى العامل النفساني .. هذا العامل الذي استطيع تلخيصه بفطرة الخميني الحقود حيث ان الخميني لم يدخل ايران لينشيء دولة ويقيم مجتمعا اسلاميا حرا ، بل انما جاء ايران حاقدا منتقما وناسيا ان من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال القلوب ..



ايران والشاه

١ - مدخل :

من أخطر امراض النرجسيه الترهل ، اى الاستهانة بالامور والرجال ، بالحوادث والاحداث ومن ابرز اعراض الترهل التعامى عن اولى القواعد الاساسية فى سياسة الشعوب وحكم الأمم ، واعنى بذلك القاعدة ، لابل القانون الحديدى القائل بان فن السياسة ، قبل ان يكون فن تحقيق الممكن ، انما هو فن التعامل وردود افعال النفس البشرية ، وتحويل هذه الردود الى افعال تبنى الوطن ، وتسند النظام ، الامر الذى يستوجب اعتماد كرامة المواطن اساسا وحيدا لعزة الوطن ، فالوطن ليس مفوهما جغرافيا ، بل انه كان ولايزال وسيبقى نظاما عضويا حيا عنوانه الانسان وفحواه كرامة الامة والفرد ..

لكن الشاه بدلا من استلهام القواعد الآنفه الذكر فى حكم الشعوب الايرانية ، اقام سلطانه على ولاء القوات المسلحة لاعلى موالاة الشعب متناسيا فى ذلك ، ان اسوار التكنات لا تصد

تيارات الرأى العام ، وتجعل العسكر ، ولا سيما عسكر العالم الثالث الذين يعيشون بمعزل عن امال الشعوب والامها .

ب - هيكل الجيش الايرانى :

ومن المفارقات العابثة ان هيكل جيش الشاه كان ملغوما بالغام التحاسد والتنابذ ، اذ كان يتألف من حيث الواقع ، ومن حيث الامتيازات والرواتب من ثلاثة جيوش :

اولها : « الخالدون » اى الحرس الامبراطورى ، وكان هؤلاء يتمتعون بامتيازات خاصة من حيث الرواتب والتسهيلات المعيشية والبريق الاجتماعى .

اما ثانيهما : فهم المحترفون : اى الذين اتخذوا من الجندية حرفة لهم . وكان هؤلاء يشكلون العمود الفقرى للقوات المسلحة الايرانية ، وكانت امتيازاتهم دون امتيازات الحرس الامبراطورى . وذلك على الرغم من كونهم يمثلون ما نسميه بالجيش العامل او الجيش الدائم

وكان ثالث هذه الجيوش يتالف من المجندين وضباط احتياط ويشكلون الاكثرية العددية الساحقة من القوات المسلحة الايرانية ، ولكنهم كانوا « المحرومين » بالنسبة لهؤلاء ولاولئك وذلك من حيث الراتب والتسهيلات المعيشية والمعاملة والتعامل والمكانة فى الثكنة والمجتمع الايرانى .

وكانت ثمة فئة رابعة من القوات المسلحة الايرانية ، واعنى بهذه الجنود وضباط الصف من الفنيين ، كميكانيكى سلاح الطيران والمدرعات والنقل والمواصلات اللاسلكية

والسلكية ..الخ .. ومع ان الشاه كان كريما غاية الكرم مع هؤلاء الفنيين ، وذلك لان مرتب البعض منهم كان يتساوى ومرتب العقيد فى الجيش المحترف ، غير ان رتبهم كضباط صف كانت تنعكس سلبا على نفسيتهم فى المجتمع العسكرى بخاصة والمجتمع الايرانى بعامة ، كما ان اصولهم كابناء للبرجوازية الصغيرة ، كانت تجعلهم اكثر من غيرهم استعدادا للتمرد وتقبلا للثورة ، وهكذا شاهدنا ، قبيل سقوط الشاه بايام معدودة ، ضباط الصف من الفنيين فى سلاح الجو الايرانى ، طليعة للمتمردين من العسكريين على الشاه ونظامه ، فجميعنا نذكر تلك المعركة الشرسة التي دارت رحاها فى احدى القواعد الجوية بالقرب من طهران ، بين هؤلاء وبين الحرس الامبراطورى ، وكانت بمثابة الشرارة التى الهبت الثورة فى ثكنات المجندين وضباط الاحتياط ، وانتهت الى تفكك القوات المسلحة الايرانية .

ج - التوازن والاستقطاب :

يتضح من شكل هيكل القوات المسلحة الايرانية ، ان الشاه كان يهدف من وراء تنظيمه لعسكره التنظيم الانف الوصف الى اقامة توازن تحييدى فى القوات المسلحة الايرانية ،بحيث يصبح هو بذاته لسان الميزان وبيضة القبان ، والقائد العام والاعلى معا ، ولذلك ربط القوات المسلحة ربطا مباشرا بشخصه ، فكان هو الذى يبت حتى فى قرارات ترفيع ضباطها وفى نقلهم وتحديد وظائفهم ومسئولياتهم . وجماع القول انه كان يقوم بمهام وزير الدفاع ورئيس الاركان العامة ، ولايسمح للحكومة مجتمعه باتخاذ اى قرار يتعلق بالقوات المسلحة دون موافقته ، او

بالاحرى دون ان يكون هو بالذات المبادر باقتراح القرار وفى اضفاء الصفه الشرعية عليه . وكان هو الذى يحدد الاعتمادات المرصودة للقوات المسلحة فى الميزانية العامة ويقرر اوجه صرفها ، اضف الى ذلك انه كان يتولى بنفسه فرع شؤون الضباط ، وحتى اختيار المرشحين لدخول الكليات العسكرية لتخريج الضباط المحترفين وضباط الاركان ، فالقوات المسلحة الايرانية كانت فى نظر الشاه بمثابة هيكل لايجوز لاى انسان غيره تخطى عتبته ، او الدخول اليه دون موافقته او معرفته بذلك ..

د - الحواجز النفسية :

وبغية الاطمئنان الى الولاء المطلق للقوات المسلحة ، اقام الشاه بين فروعها حواجز من التحاسد والريبة والحذر ، فالحرس الامبراطورى كان يرصد الجيش المحترف . ويلجم كل قائد يطمع او يطمح الى الاستيلاء على السلطة ، كما ان الجيش العامل او المحترف كان بدوره القوة الرادعة للمجندين ولضباط الاحتياط وسلاحى الطيران والبحرية وحتى الحرس الامبراطورى زد على ذلك ان ضباط وضباط الصف القوات الجوية كانوا ينظرون الى زملائهم فى الفروع الاخرى من القوات المسلحة ، نظرة تكبر واستعلاء شانهم فى ذلك شأن زملائهم فى ضباط سلاح البحرية ، وبغية دعم سلطانه على القوات المسلحة الايرانية ، جعل الشاه من الاستخبارات العسكرية جهازا على ارفع مستوى من التطور كفاءة وتنظيما ، وقد ربط هذا الجهاز

بشخصه ايضا . فكان يحق لرئيسه تجاوز القائد العام ورئيس الاركان ، من حيث رفع تقاريره مباشرة الى الشاه ودون اطلاع رئيسه عليها ، وكانت ابواب القصر الامبراطورى مشرعه امامه فى كل دقيقة من دقائق الليل والنهار ، ولم يكن بحاجة الى استئذان او تحديد موعد للاجتماع بالشاه وكانت ميزانية هذا الجهاز ، حين اقتراحها ، لاتقبل نقاشا ، او جدلا ، ولم يكتف الشاه بذلك ، بل انشأ داخل الاستخبارات العسكرية جهازا اخر للاستخبارات ، وكانت احدى مهام هذا الجهاز الخاص مراقبة الاستخبارات العسكرية العامة ورصد عناصرها ، وكان يراس هذا الجهاز الخاص من الاستخبارات العسكرية رئيس الغرفة العسكرية فى القصر الامبراطورى ، ولقد كانت للفرع الخاص بالتوجيه المعنوى من الاستخبارات العسكرية العامة اهداف خمسة :

الاول : ترسيخ الاعتقاد بان العرش هو العامل الاوحد فى الحفاظ على وحدة الشعوب الايرانية وبالتالى على وحدة ايران الجغرافية ..

والثانى : تدعيم الولاء المطلق للشاه واعتبار اى نشاط معاد له نشاطا يهدد ايران بالتفكك والامة بالانقسام .

الثالث : تبرير كل خطوة يخطوها الشاه فى السياستين الداخلية والخارجية ، واحاطة صورته بهالة « القداسة » والاشراق ..

الرابع : تدعيم الحواجز النفسية الفاصلة بين اسلحة القوات الايرانية .

الخامس : اشاعة كل ما يحقق بلوغ الاهداف الاربعة الانفه الذكر ، من حقائق او اكاذيب بين صفوف القوات المسلحة الايرانية ..

ولا خلاف ان الشاه قد نجح فى بلوغ غايته ، بالنسبة للقوات المسلحة الايرانية ، وذلك على الرغم من محاولات اغتياله من بعض منسوبى تلك القوات ولكن السبب الرئيسى وراء نجاحه يعود اولا واخيرا الى ان ايران بشعوبها المختلفة لم تشهد قبل ثورة الخمينى ثورة او اضطرابات لها من الزخوم والاستمرارية العنيدة ما كان لثورة الخمينى منها ، لذلك لم تمتحن الاحداث تماسك القوات الايرانية المسلحة فى ساعة الشدة والحرج . علما بان ثورة مصدق على الشاه ، وعلى الرغم من فشلها ، كانت بمثابة النذير بان تحييد القوات المسلحة واتخاذها موقف اللامبالى بالحفاظ على (الامبراطورية) والامبراطور امر محتوم حالما يبلغ غليان الرأى العام وتبلغ الثورة المرحلة الحرجة من مراحلها ، وان لى فيما اذاعه الجنرال قره باغى القائد العام للقوات المسلحة الايرانية ، عشية انهيار النظام الشاهنشاهى ، اصدق دليل على صحة ما اوردته ، فلقد اذاع الجنرال المذكور ما يلى :

« للحيولة دون انتشار الفوضى ولمنع اراقة الدماء قرر المجلس الاعلى للجيش الاحتفاظ بحياده ، من الخصومات السياسية الحالية ، ولهذا فلقد اصدر امره الى كافة القطاعات العسكرية بالعودة الى ثكناتها . »

لقد كان باستطاعة الشاه الا ينتهى الى ما انتهى اليه على

ايدى الجنرال قره باغى ، لو انه تعمق فى دراسة تجربته والجيش ، حينما بلغت خلافاته ومصدق النقطة الحرجة فارسل مع العقيد نصيرى فى شهر اوغسطس من عام ١٩٥٣ ، كتابه الشهير الى مصدق والقاضى باقالته من منصب رئيس مجلس الوزراء ، حيث تمرد مصدق على امر الشاه ، واضطر الشاه للفرار من ايران والبقاء خارجها ، حتى اعاده اليها كيرميت روزفلت من خلال الانقلاب الذى دبره بالتعاون والجنرال فضل الله زاهدى ، فعندما تبلغ الثورة المرحلة الحرجة لا يبقى امام القوات المسلحة سوى ثلاثة خيارات لا رابع لها . واعنى بهذه الخيارات التالية :

اولا : الدفاع عن النظام القائم وسحق التمرد والثورة ، وان هذا الخيار ممكن وناجح فقط فى حالة كون النظام القائم لم يتجاوز نقطة مرونته ولم يستاصل جميع جذوره من تربة الامة .

ثانيا : اللامبالاة بالنظام القائم وبالثورة معا ، اى الحياد بين النظام القائم وبين الثائرين عليه ، الامر الذى يعنى ، واقعا وفعلا ، اطلاق الأعنة للثورة وتحريرها من كل كابح او لجام ، وهذا الامر ينتهى عادة الى انضمام الثكنة الى الشارع .

ثالثا : صيرورة القوات المسلحة رأس رمح للثورة ، بتوجيهها الضربة القاضية على النظام ، وهذا ما رفضه الخمينى حينما جاءه مندوبون عن القوات المسلحة الايرانية ليطلبوا موافقته على انقلاب عسكرى يقومون به على الشاه ونظامه .

مما ورد اعلاه يتضح بجلاء ان محاولة الاستعاضة عن الامة بالقوات المسلحة عمل احمق وغبى ، وان الاقناع لا الاخضاع هو

تربة النظام وماؤه وهواؤه ، والواقع ان الشاه المخلوع لم يدرك هذه الحقيقة الا بعد ان غادر المملكة المغربية واستقر اخيرا فى مصر .. ففى مصر تبخرت اماله بقواته المسلحة ، وتبين له ان الحواجز النفسية الفاصلة بين فروعها تعمل فى زمن الشدة على تحييدها ، وحتى بتنويرها ، وان حتى اقرب اصدقائه من الاجانب يراهنون دائما ، على الحصان المضمون فوزه فى الحلبة .

هـ - جنون التسلح :

لايكفى لضمان ولاء القوات المسلحة ، ان يكون النظام كريما معها فى المرتبات والامتيازات المعيشية ، بل يتوجب ايضا تزويدها باحدث المعدات والاسلحة ، فالسلاح نوعا وكما يشكل سيكولوجيا ، دليلا ماديا على اهتمام او عدم اهتمام النظام بجنده ، الامر الذى يكون له اعمق الاثر فى دعم او اضعاف ولاء القوات المسلحة للنظام القائم ، وقد فطن الشاه الى هذه المسلمه المنطقية فاغرق قواته بطوفان من شتى الاسلحة واشدها تطورا وتعقيدا ، وقد بلغ انفاقه على التسلح ما يقارب الاربعين الف مليون دولار ، وذلك باستثناء العقود المبرمة لشراء المزيد من السلاح والتى الغتها الثورة حالما تسلمت ازمة الحكم ..

ومن المضحك المبكى ان كميات ضخمة من الاسلحة التى ابتاعها الشاه اصبحت فريسة للصدأ فى مستودعاتها ، بسبب عدم توفر الكوادر البشرية القادرة على استيعابها فلقد درج الشاه على عادة استيراد السلاح قبل اعداد الانسان الذى سيستوعبه ويستخدمه ، كما ركب الشاه طموح مجنون الى جعل

القوات المسلحة الايرانية من حيث القوة ، فى المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ، وقد اعماه طموحه هذا عن اولى المسلمات المنطقية القائلة بان الجيش القوى هو ذلك الجيش المستند الى امة حرة وقوية وتملك اقتصادا قويا بحيث يكون ابرز اركانه الصناعة من متوسطة وثقيلة ، وان الجيش الذى يستورد اسلحته ، يكون قصير النفس فى القتال والصمود ، ويبقى تحت رحمة صانع السلاح ، ويربط مصير امته باهواء او سياسات ذلك الصانع ، ويرهن مقومات اقتصاد وطنه لدى الدولة الموردة للسلاح ويعطل موكب التقدم الاقتصادى والاجتماعى .

جميع هذه البدهيات تعامى عنها الشاه او تجاهلها ، فجنونه بالتسلح لم يقف عند الاسلحة التقليدية بل تجاوزها الى الاسلحة النووية ، فابتاع المفاعلات من فرنسا واقام منشاتها على الخليج العربى ، وذلك قبل ان يعد لها الكوارد البشرية اللازمة ، وهكذا نرى اليوم نظام الخمينى يوقف العمل فى تلك المفاعلات ويعرضها للبيع ، ويتفاوض وفرنسا بغية استرداد الاموال المتبقية فى ذمتها .

والحق ان المتامل فى سياسة التسلح التى انتهجها محمد رضا بهلوى ، ليسال نفسه عما اذا كان الشاه قد انطلق فى سياسته هذه من قوة الغطرسة او من غطرسة القوة فالنرجسى كما هو معروف ، غبى وغطريس ، ويعيش فى عالم لا يمت الى عالم الواقع بصلة ، ويستخدم فى النظر الى نفسه الميكروسكوب لا النظارة الطبية ومن المؤسف ان الشاه قد عثر على من يشبع نهمه الى

السـلاح ، لقد وجـده فى شخص الرئيس نيكسـون والدكتـور كسينجـر ، هذا اليهـودى التلمـودى والبهلوان فى السيـاسـة الدولية ، فالولايات المتحدة الامريكية ، لم تسمح للشاهبالاعتراف من اسلحتها قبل عهد نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر ، وذلك لان الادارات الامريكية السابقة كانت تسعى الى تحويل الانفاق الايرانى عن التسلح الى المشروعات الاقتصادية ..

لكن الشاه الذى استعاض عن الامـة الايرانيـة بالجيش ، اعتقد بان استيراد السلاح كفيل باشاعة الرخاء فى ايران والرفاه بين شعوبها ، وذلك لانه اعتقد بان القوات المسلحة هى الشعوب الايرانية وقدأثار جنون الشاه بـالتسلح فضول رئيس احـدى الدول حين زيارته لايران فسأل الشاه عن اهدافه من وراء انفاقه الباهظ على التسلح وهو يعلم حق العلم بان قواته المسلحة مهما بلغت من الضخامة عددا وعتادا ، فانهاتبقى عاجزة كلياعن صد اى هجوم سوفيـاتى ، واستطرد ذلك الرئيس يقـول للشاه ان التوازن الدولى فى المنطقة لايسمح له بالاجتياح والتوسع ، كما ان اختلاف شعوب المنطقة المجاورة لايران ، عنصرا ولغة وحضارة يجعـل بعد تهـاوى الاستعمار من المستحيـل دوليا وانسـانيا استعمارها وخلص ذلك الرئيس الى القول بان سيـاسته هـذه ستجعله اداة تستخدمها الولايات المتحدة للتهـديد او القيـام بالمهمات التى تخدم اغراضها لا اغراضه ، لكن الشاه لم يجب عن ملاحظات ذلك الرئيس بغير الابتسام ، لكنه لم يكن بالابتسام العريض فعقله الباطن لم يكن مـرتاحـا الى هذا الطوفـان فى الاعتدة والسلاح ...





ثورة مصدق واسباب فشلها

أ) مقدمة لابد منها :

عرف تاريخ ايران الحديثة فقط ثلاثة احداث ضخام .. الاول والثالث يشكلان منها منعطفين حاسمين فى مسارها التاريخى ، ولهما مفهوم الحقبة بكل مالكلمة حقبة من مفهوم تاريخى ..

اما الثانى منها ، فهو بمثابة مفترق طرق بلغة النظام الشاهنشاهى فى عهد وزارة مصدق ولم يحاول الشاه ان يستفيد من نذره ومؤشراته الاستفادة التى تستوجبها بصيرة الحكم ورؤية الحاكم ..

ورغبة منا فى التذكير نقول ان الحدث الاول يتمثل فى استيلاء رضا شاه او رضا بهلوى على عرش فارس وخلع احمد شاه وطرد سلالته سلالة الكاجار من البلاد .. وابتداع عائلة مالكة جديدة .. هى عائلة بهلوى وتبديل اسم بلاده من فارس الى ايران .. اما الحدث الثالث فيتمثل فى ثورة الخمينى الامر الذى سنتطرق اليه فى الجزء الثانى ..

ب) من هو مصدق :

يجدر بنا وقد مر مايزيد على خمسة عشر عاما على وفاة مصدق ان نقدم الى ابناء هذا الجيل نبذة مبتسرة عن حياته ..

ولد مصدق فى عام ١٨٨٠ فى مدينة طهران ولعائلة لم تكن مستجدة فى شجون السياسة ولا فى شؤون الوظائف والحكم .. وبعد ان انهى دراسته الثانوية التحق بجامعة لوزان بسويسرا حيث درس الحقوق ونال درجة الدكتوراه فيها .. ومن ثم عاد الى بلاده وعين عام ١٩١٤ حاكما عاما لمقاطعة فارس وقد شغل هذا المنصب حتى عام ١٩١٩ وعندما استولى رضا شاه على السلطة عينه وزيرا للمالية ومن ثم وزيرا للخارجية وفى عام ١٩٢٣ انتخب نائبا فى مجلس النواب .. وفى عام ١٩٢٥ عندما رفض علماء الدين مشروع الجمهورية الذى عرضه رضا شاه واصروا عليه بتتويج نفسه شاها جديدا وخوله المجلس السلطة المطلقة انسحب محمد مصدق من الحياة العامة كليا .. وابتعد عن السياسة وكواليسها وانزوى فى بيته حتى عام ١٩٤٤ حيث انتخب عضوا فى مجلس النواب وذلك بعد خلع الحلفاء رضا بهلوى من عرشه وتنصيب ولى عهده خلفا له ..

وفى مطلع عام١٩٤٦م اخذ الاتحاد السوفيتى يضغط الضغط الشديد على ايران بغية حصوله على امتيازات للتنقيب عن البترول فى المناطق الشمالية فتصدى مصدق للضغوط السوفيتية وقاومها بكل شجاعة .. الامر الذى احاطه بهالة شعبية براقة ووفر له فرصة دخول الحياة السياسية من اوسع الابواب وبعد ان تجاوزت ايران الضغوط السوفيتية ركز مصدق جميع

نشاطاته داخل المجلس النيابى وخارجه على الدعوة الى تأميم شركة البترول الانجليزية ـ الايرانية .. وقد حالف النجاح دعوته هذه فاقر المجلس فى شهر اذار من عام ١٩٥١ قانونا يقضى بتأميم الشركة المذكورة وبذلك اصبح مصدق النجم الاول فى ايران وقطب الرحى فى حياتها السياسية واصبح له من التأييد الشعبى مـا ارغم الشاه على تعيينه رئيسا للوزراء ..

وفى شهر اغسطس من عام ١٩٥٣ اصدر الشاه امرا باقالته من منصبه كرئيس لمجلس الوزراء الامـر الذى الهب الشارع الايرانى فاضطر الشاه لمغادرة ايران .. لكن غيابه عن عرشه لم يتجاوز اياما معدودة .. حيث اعاده انقلاب عسكرى شبه شعبى الى قصره فاعتقل مصدق وقدمه الى المحكمة وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات بتهمة الخيانة العظمى ..

وبعد ان امضى مدة الحكم فرضت عليه الاقامة الجبرية فى منزله .. حيث بقى حتى وفاته فى اليوم الخامس من شهر مارس من عام ١٩٦٧ ..

ج) مصدق ينتصر فى الجولة الاولى :

فى صبيحة احد ايام شهر اغسـطس من عام ١٩٥٣ قـرع الضابط فى الحرس الامبراطورى العقيد نصيرى بـاب مصدق وسلمه امرا امبراطوريا يقضى باقالته من منصبه كرئيس لمجلس الوزراء ومن سخرية الاحداث ان العقيد نصيرى هذا اصبح فيما بعد رئيسا لجهاز السافاك جهاز المباحث الايرانية .. وقد اشتهر بقسوة اجراءاته وشراسة سلوكه ..

وكان فى طليعة القافلة الاولى من القوافل التى اعدمها الخمينى ..

رفض مصدق الامتثال لأمر الشاه واحتكم الى الشارع الايرانى فالتهبت طهران واشتعلت ايران وتدفقت الجماهير سيولا فى الشوارع وحطمت تماثيل والد الشاه .. وتعالت الاصوات مطالبة بخلع محمد رضا بهلوى .. واعلان الجمهورية ووقفت القوات المسلحة شعب الشاه وامته .. تتفرج على مايحدث من وراء اسوار ثكناتها فالغضب الشعبى كان اشد واقوى بكثير من ان يترك لها فرصة الانتصار للشاه او للتعبير عن ولائها لنظامه .. حتى داخل ثكناتها وهكذا وجد الشاه نفسه مضطرا لمغادرة ايران تاركا لاخطاء مصدق وباطنية اية الله الكاشانى ورعونة اليسار الايرانى مهمة انقاذه من المأزق الخطير الذى ال اليه ..

انتصر مصدق على الشاه فى الجولة الاولى لكن انتصاره لم يكن بالضربة القاضية الامر الذى اتاح للشاه ولاعوانه فرصة لالتقاط انفاسهم واستغلال اخطاء العهد الجديد واللعب على التناقضات القائمة بين اركانه والكر على مصدق من جديد ..

ويجدر بنا هنا بغية فهم ثورة الخمينى وتكتيكها البارع وتفهم دهاء قائدها ومكره ومن ثم عوامل انحرافها عن الجادة .. ان نتطرق الى السببين الرئيسيين الكامنين وراء انتصار مصدق والى السببين الآخرين فى هزيمته المنكرة امام الشاه ..

د-) سبب الانتصار :

لا خلاف ان السبب الاول والرئيسى الكامن وراء انتصار مصدق يعود الى براعته الفائقة فى توحيد كافة الشعوب الايرانية ولاسيما جماهير طهران حول شعار واحد كانت له صفة الشمول وقدرة خارقة على استهواء الجميع وحشدهم واعنى بهذا شعار تأميم شركة الانجلو ايرانية وذلك لان هذا الشعار كان يعنى بالنسبة للانسان الايرانى بصورة عامة التحرر من السيطرة الاجنبية لا الرغبة فى الارتفاع بعائدات البترول بغية الارتفاع بالمستوى المعيشى للفرد ، ولهذا السبب كان ذلك الشعار يعبر من حيث الواقع عن تطلعات روحية الى التحرر والحرية .. لا عن تطلعات الى معيشة افضل فكان بذلك ذا مغزى ميتافيزقى لا مادى الامر الذى حقنه بزخوم هائلة جمعت بين المؤمن والملحد بين المحافظ والراديكالى بين رجل الدين ورجل السياسة بين المسجد والجامعة بين ابناء المدن وابناء الارياف وهكذا وجدت القوات المسلحة الايرانية انها لا تستطيع التعبير عن ولائها للشاه .. باكثر عن اتخاذ موقف الحياد بين الشاه ومصدق .. الامر الذى كان سيستغله الخمينىمستقبلافيما بعد الى ابعد الحدود وكان سينجح كل النجاح فى استغلاله ..

اما السبب الثانى وراء انتصار مصدق فهو سبب خارجى محض ، ويعود الى طموحات الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والى خططهما الرامية الى السيطرة على الكرة الارضية والتحكم بمصائر شعوبها ..

وقبل ان نتطرق الى عرض السبب الخارجى او الدولى وراء

انتصار مصدق فى الجولة الاولى على الشاه ارجو من القارىء الكريم الا يصدر حكمه على ماسأورده قبل الانتهاء من قراءة حديثى هذا اذ اننى اعتمد هنا تسلسل منطق الاحداث التاريخية من حيث الفعل ورد الفعل ..

اسفرت الحرب العالمية الثانية عن تجسد دولتين عظميين هما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى وعن تدهور بريطانيا وفرنسا واستقرارهما فى المرتبة الثالثة لا المرتبة الثانية .. كما قد يخيل الى البعض وماكادت الحرب المذكورة تضع اوزارها حتى اسفر الاتحاد السوفيتى عن وجه استعمارى واضح .. وصورة طبق الاصل عن الوجه الذى كان للاستعمار فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، اى الاستعمار المعتمد القوة المادية العارية اسلوبا وحيدا للتعامل والشعوب ، اذا خرجت على المسارات المرسومة لها .. ولنا فيما حدث فى هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وفى افغانستان واخيرا فى بولندا الادلة القاطعة على ماذكرت ..

اما الولايات المتحدة الامريكية فانها تختلف عن الاتحاد السوفيتى اسلوبا ولكنها تلتقى معه غاية وهدفا .. علما بان منطلق الاتحاد السوفيتى هو الرغبة فى السيطرة بينما حافز الولايات المتحدة هو الرغبة فى الربح .. لذلك فان العوامل الاقتصادية المحضة هى التى تحدد السياسة الامريكية بينما العوامل السياسية او مايسميه اليساريون بالعوامل الايديولوجية هى التى تحدد سياسة التجارة الخارجية السوفيتية وعلاقاتها الاقتصادية ببقية اقطار العالم خارج

الامبراطورية السوفيتية .. لذلك فان للسلعة السوفيتية سعـرا سياسيا بينما ان للسلعة الامريكية سعرا اقتصاديا محضا ..

هذا استهلال لابـد منه بغيـة فهم خلفيات السبب الثـانى السبب الدولى وراء انتصار مصدق ..

والحق ان الحرب الباردة التى دارت رحـاها بـين الولايات الامريكية وبين الاتحاد السـوفيتى كانت بـاردة تمامـا .. لكن الحرب الخفية التى دارت بين امريكـا وحلفائهـا من بريـطانيا وفـرنسا وسـواهما كـانت حربـا شديـدة الحرارة اقتصـاديا وسياسيا .. فـالولايات المتحـدة الامريكيـة اعتبرت نفسهـا فى اعقاب الحرب العالمية الثانية الوريث الشرعى للامبراطوريـات البريطانية والفرنسية والايطالية واليابانية .. وهى لم تكن ترغب فى وراثة تركاتها السياسية .. من سيطرة وحكم مباشرين بل فقط فى وراثة كل مالبريطانيا وفرنسا وايطاليا واليابان من مصـالح واستثمارات اقتصادية ولذلك صاح تشرشل بعد هزيمة حزب العمال وتعيينه رئيسا محافظا للوزراء وقال غاضبا : لم اتسلم هذا المنصب كى اصفى الامبراطورية البريطانية ..

ولما كانت ايران فى عهد مصدق ، بلدا يكاد يكون مغلقا فى وجه الجميع ماعدا بريطانيا .. وكان مصدق ابـرز القادة الذين تصدوا لمحاربة طلب السوفييت امتيازات للتنقيب عن البترول فى المنـاطق الشماليـة الايرانيـة .. لذلك كانت الولايـات المتحدة الامريكية تنظر اليه بعين العطوف .. بدليل الاستقبال الذى لاقاه فى زيارته لواشنطن بعد تأميمه لشركة البترول الانجلو ايرانية وبدليل تبنيه الكونسريتوم الذى تشكل لانتاج البترول الايرانى

وتسويقه بعد هزيمة مصدق وعودة الشاه وبدليل اتخاذ الشاه بعد عودته من الولايات المتحدة الامريكية محورا وحيـدا تدور عليه سياسته الاقتصادية والتسليحية والخارجية .. ولكن لماذا خذلت الولايات المتحدة الامريكية مصدق وتخلت عنه كما خذلت الشاه فيما بعد حيث انها لم تسمـح للشاه حتى بـالاقامـة فى اراضيها ..

هـ) اسباب الهزيمة :

ان وراء هزيمة مصدق سببين وهما ايضا داخلى وخارجى وان للسبب الداخلى جذورا ثلاثة هى :

١) اخطاء مصدق ..

٢) باطنية آية الله الكاشانى ..

٣) رعونة اليسار الايرانى ..

والحق ان سقوط مصدق ليقـدم لنا الامثـولة لا بل المقـولة القائلة ان التفاف الشعب حول اية حركة هو الضامن الوحيد لنجاحها وبقائها .. وان انفضاض الشعب من حولهـا يستتبع فورا سقوطها وزوالها .. ولقد وعى الخمينى فى مطلع ثورته هذه الامثولة .. ولكن خمرة السلطان وشهوة الانتقام قد طمستا امام ناظريه عظات تلك الامثولة وعبرها .. وهذا ماسنتطرق اليه فيما بعد ..

١) السبب الداخلى :

لم يكد مصدق يرى ايران بدون شاه حتى اندفع محاولا ان

يكون ايران والشاه معا ، فالشعب قد كرسه حاكما وحزبه كرسه شعبا ، فاصبح اى نقد يوجهه اليه حتى الصديق العاقل تعتبره الجبهة الوطنية تجنيا على الشعوب الايرانية .. ومن المحزن ان انتصار مصدق قد حرر انصاره واتباعه وحواشيه من كل كابح او قيد .. فانطلقوا يوسعون فى صفوف الجبهة الوطنية وشرعوا ابواب حزبهم امام كل نهاز للفرص .. فتحلق حول مصدق الاتباع لا الانصار والعبيد لا الاحرار فكانوا بذلك لا يزيدون كفاءة ولا شجاعة ولا نضالا عن ذباب يحط على قرص عسل ومن المحزن ان انتصار مصدق اغلق بابه امام الطموح وشرعها على مصراعيها امام الطمع فانزوى العاقل والمناضل وطفا النفعى والجاهل .. وقد اثارت قذارات هؤلاء الذعر فى قلوب الفعاليات السياسية .. فرجال السياسة التقليديون رأوا فى المتحلقين حول مصدق متطفلين على السياسة ولكنهم كانوا فى نظرهم المتطفلين الذين يشكلون خطرا داهما على مصالحهم ومستقبلهم السياسى ..

وليزيد القدر فى طين مصدق بلة ، اندس فى صفوف الجبهة الوطنية شيوعيون ملتزمون بكل شىء ماعدا العقل بالاضافة الى جميع ضروب الثوريين الذين يمثلون مرضى العالم الثالث وافاعيه وقد وجد جميع هؤلاء تشجيعا لا بل تحريضا من الاتحاد السوفيتى ، على السير بمصدق الى نقطة اللا عودة .. ومنعطف اللا رجوع الامر الذى دفع باية الله الكاشانى وبالتيار الذى يمثله الى اعادة تقويم مواقفه من مصدق وجبهته .. فلم يكن الكاشانى ولا تياره يريدان ان يكون مصدق قائد الشعب الوحيد

وان تكون جبهته الوطنية البديل للحوزة العلمية والحسينية ..

وهكذا رأى الكاشانى وتياره ان الاستمرار فى مساندة مصدق سيسفر فقط عن استبدال العلمانية الشاهية بليبرالية هلامية تتجاذبها الايديولوجيات الوافدة .. من كل جانب وصوب .. وتفوت على اية الله الكاشانى اغراضه فانقض بقضه وقضيضه على مصدق ومد بيديه الى كل عازم على مقاومة مصدق واسقاط جبهته الوطنية وبذلك فقد مصدق القوة الرئيسية القادرة على استنفار الجماهير وتنظيمها فى مظاهرات تكتسح شوارع طهران والمدن الايرانية الاخرى .. وهكذا وجد مصدق نفسه مرغما على توثيق تحالفاته مع الفئات الثورية .. بكل اشكالها وانواعها وايديولوجياتها لكن هذه الفئات كانت ولا تزال فى العالم الثالث تفتقر الى الجذور فى التربة الشعبية وغير ذات اثر او قدرة على النفاذ الى وجدان الامة وضميرها لذلك كانت عبئا على مصدق وجبهته .. وعاملا اساسيا فى اضعافه جماهيريا الامر الذى اتاح لاعدائه الاستفراد به .. وجعل الولايات المتحدة الامريكية تتخذ قرارها الحاسم بالعودة الى الشاه ونظامه .. فهى حينما عزمت على تصفية المصالح البريطانية فى ايران ارادت ان تكون الوريث الوحيد للتركة البريطانية .. لا ان تؤول هذه التركة فى نهاية الامر الى الاتحاد السوفيتى فالسياسة الامريكية بعد ان اتخذت من التوسع التجارى والاستقرار النقدى والاستثمار الدولى منطلقاتها الرئيسية اصبح لزاما عليها ان توفر المناخ الصحى لهذه المنطلقات الثلاثة بغية الانتقال بها من النظرية الى التطبيق لذلك وبعد ان زلزلت اركان مصدق الشعبية واصبح منعطفا

خطرا نحو اليسار غدا من المتوجب ومن السهل ايضا اسقاطه وطى كتابه متنا وغلافا ..

تهللت الدوائر البريطانية فرحا حينما علمت بان الولايات المتحدة الامريكية قد قررت اخيرا العمل على اسقاط مصدق وعهده .. فمصدق لم يعد يشكل خطرا فقط على المطامع الاقتصادية الامريكية بل وايضا على الاستراتيجية الامنية الامريكية فى المنطقة .. فلقد علمتها تجاربها .. والشيوعية الدولية ان الشيوعيين ينادون دائما بانشاء جبهة وطنية تضم جميع الفئات السياسية المتفقة مرحليا وبعد ان تتألف مثل هذه الجبهة وتستولى على السلطة ينقض الشيوعيون على جميع المتحالفين معهم داخل الجبهة ويصفونهم سياسيا وجسديا .. فالشيوعيون داخل مثل تلك الجبهة ولاسيما فى العالم الثالث يكونون من بين فئات الجبهة الفئة الوحيدة ذات الايديولوجية الواضحة والتنظيم المنضبط والمدعوم بالامكانات الشيوعية الدولية الهائلة المادية والمعنوية وعلى مستوى عالمى لا داخلى فقط .. وقد وجدت الولايات المتحدة الامريكية بعد ان انكمش تيار اية الله الكاشانى عن تأييد مصدق لا بل وانتقل الى مناهضته وكذلك فعل ساسة ايران التقليديون ايضا ، وبعد ان استقطب مصدق الثوريين واستقطبه الثوريون اقول وجدت امريكا ان جبهة مصدق الوطنية لن تكون فى نهاية المطاف افضل مصيرا من الجبهة الوطنية التشيكوسلوفاكية والبولندية .. ايضا .. ورأت ان مصدق بعد ان اقتلع الكاشانى والساسة التقليديون جذوره وجذور جبهته الوطنية من التربة الشعبية

اصبح هدفا قريب المجال يسير المنال .. وان نفحة هواء لا ريح كافية للاطاحة به جبهة وزعيما ..

و) مراسم الدفن :

لا خلاف ان مصدق سقط مصعوقاً بتيار اية الله الكاشانى ذلك التيار ذى التوتر العالى فبعد تحول الكاشانى عنه خبا بريقه وماتت جبهته فارسلت الولايات المتحدة الامريكية بكبير عملاء الاستخبارات المركزية فى الشرق الاوسط المستر كيرميت روزفلت الى طهران ليضع اللمسات الاخيرة على مراسم تشييع الجنازة وليأمن دفن الميت والمصالح البريطانية معا فى قبر واحد ..

حط كيرميت روزفلت فى طهران واستقبله اردشير زاهدى نجل الجنرال آل فضل الله زاهدى وسار به الى ابيه واتفق روزفلت والجنرال زاهدى وزير داخلية مصدق سابقا .. على كيفية تشييع الجنازة وعلى الاشخاص المشيعين الذين كانوا خليطا من عسكريين ومدنيين ومزيجا غريبا من زعماء وجماهير دهماء .. وانطلق موكب المشيعين من بعض الثكنات والحوزات والحسينية ومن اماكن اخرى نعف عن ذكرها .. وتعالت الهتافات بحياة الشاه وانصبت اللعنات على الميت ..

ولم تتجاوز تكاليف الجنازة واجور المشيعين المليون من الدولارات الامريكية كان كيرميت روزفلت قد حملها معه الى طهران ..

وبعد فترة وجيزة مرت على دفن الميت استيقظ المنذهلون وهدأ المنفعلون ونهد المحللون الى التدقيق فى الخسائر والارباح

وتحديد هويات الرابحين والخاسرين فتبين لهم ان بريطانيا لم تكن من الرابحين فعاد الوجوم ليعلو الوجوه المتهللة فى دوانئج ستريت لكن القدر كان يعد لبريطانيا ضربة اشد واقسى من الضربة التى نزلت بها فى ايران .. ففى عام ١٩٥٦ حينما غزت بريطانيا وفرنسا واسرائيل مصر ، وجد الرئيس دوايت ايزنهاور ولاسيما وزير خارجيته جون فوستر دللس .. ان الفرصة الذهبية قد حانت لتكنيس النفوذين البريطانى والفرنسى من الشرق الاوسط وكذلك من المغرب العربى ايضا .. ولتسجيل تركات الامبراطوريتين الانجليزية والفرنسية باسم الولايات المتحدة الامريكية ..

لذلك فاننى اعتقد بان موقف الادارة الامريكية فى عهد ايزنهاور وارغامها القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية على الانسحاب من الاراضى المصرية .. لم يكن انتصارا لشرعة الامم المتحدة وللمبادىء الانسانية فى السياسة الدولية .. بقدر ماكان اعلانا عن هوية الوارث الجديد لكافة التركات الاوربية ..

الشاه بعد مصدق

عودة الشاه :

خرجت الجموع تستقبل الشاه وامتزجت هتافات المنتفعين بتهاليل المنافقين وصيحات الساخطين بلعنات المتساخطين على مصدق وجبهته .. ودخل الشاه قصر المرمر واستوى على عرش الطاووس وتحلق حوله النفعى والناصــح ، فكان ذاك يتحــدث بلسان الجيب ، وكان هذا يتكلم بوجيب القلب .. وتدافع صيادو الفرص بالمناكب يشقون طريقهم الى عتبات العرش فعودة الشاه فرصة لاتتكرر ابدا .. ووقفت الحقيقة عند اسوار القصر ، تنتظر من العقل ان يدعوها ومن العبرة ان تستدعيها فهى لاتتطفل بل تدعى ففى احشانها يتخلق جنين المستقبل من نطفة الماضى وعلقة الحاضر .. وهى التى حبلت بمصدق ثم اسقطته .. وهى التى اسقطت الشاه ثم اعادته لذلك فهى تعظ وتأمر ، وعلى الشاه ان يتعظ ويطيع ، فهى التى تخلق الواقع ، وتحدد مسار الوقـائع

وليس ثمة سبيل الى التمرد على اوامـرها فمن يتمـرد عليها او يستخف بها يحكم عليه المستقبل بالاسقاط وهى قبل وفوق ذلك ، كل متكامل لايقبل التجزيىء .. فعلى الشاه ان يأخذ بها ككل او ان يهملها كليا .. اما اذا اعتقد بان بعضها قد يحل مشكلتـه فعندئذ سيحولها عامل الزمن الى كارثة .. ومن طبيعة الحقيقة انها حينما تعظ تهمس بعظاتها همسا ، لذلك يتوجب ان تكون للشاه اذنان ارهفتهما ارادة العقل لاغطرسة الامبـراطور كى لايسمح بسخط المنافقين بخنق همسات الحقيقة ، لأن الحقيقة ستتحـول عندئـذ الى واقع يـرعد ويـزبد ويـرجم الشاه بحمم البراكين ... وهكذا وجدت الحقيقة تهمس فى اذنى الشاه معا ، وتعظه قائلة :

اولا : ان تيـار الشعب الايرانى يختلف تمـاما عن التيـار الطووى الذى يرتد مارا تحت سطح الماء بعدما تتكسر موجاته على الشاطىء وذلك لان هذا التيار لايرتد ابدا حتى حينما تتكسر امواجه بل يتوقف الى حين كى يراجع حسابـاته ويعيـد حشد صفوفه واستجماع وتنظيم المـزيد من القـوة والزخوم ومن ثم ينطلق من جديد ومن حيث توقف الى الامام ، ولذلك فان الحاكم العاقل هو ذاك الذى يمطتى تيار الشعوب لاذاك الذى ينهد الى صده ، معتقدا بان التيار قد انقطع الى الابـد بعدمـا تكسرت امواجه على شواطىء السلطة ..

وتعظه ثانيا : انه ليس بالخبز وحـده يحيا الأنسـان وان ضمير الامة لامعدتها هو المحرك والموجه للامة فردا وشعوبا ،

وهو الوحيد القادر على توفير التناغم والانسجام بينهما وبين النظام ...

وتعظه ثالثا : ان الاسلام لا العلمانية هو وحده القدير على اشاعة الاستقرار للحكم والرخاء للشعوب الايرانية فهو وحده القدير على توفير الخبز للفرد والابقاء على ضمير الانسان ، لامعدته ، ميزانا للقيم ومنبعا خالدا للزخوم والتسامى ، فالضمير هو الذى يضفى العظمة على الرجال والاعمال اما المعدة فقد تضفى عليهم وعليها ، كل صفات الضخامة وشتان مابين العظمة وبين الضخامة من فوارق

وتعظه رابعا : ان من عاد بك الى كرسى الامبراطورية هو حيرة الشعب الايرانى وعدم وضوح رؤيته وكذلك اخطاء مصدق ، ولم تعد بك المؤامرة الامريكية البريطانية ولا دسائس كيرميت روزفلت ولا حتى جند الجنرال فضل الله زهدى .. فحيرة الشعب وعدم وضوح رؤيته للمستقبل يمدان فى اجل النظام المحتضر .

وتعظه خامسا : ان العفو من شيم الاقوياء وان الشجاعة من شيم الكرام ، وان كل طاغية حقود جبان ، وان الدولة تعاقب ولا تثأر ، وتحاور ولا تنهر ، وان ابناء الشعب هم مواطنوك لارعاياك ، وان منطق الضرورة يجب ان يكون ويبقى خاضعا لمنطق الرحمة .. فهذا هو الفارق الجوهرى بين الاستعمار والاستقلال

وتعظه سادسا : ان من الاهداف الاستراتيجية الاساسية للدول الكبرى ان تعيش انظمة الحكم فى العالم الثالث فى غربة

تامة عن شعوبها ،وان تتحول هذه الغربة من خلال الممارسة الى عداء مستحكم بين الانظمة وبين الشعوب بغية ابقاء العالم الثالث متمحورا عليها ودائرا فى فلكها ، وان تحقق هذه الغاية مرهون كليا بانسلاخ الشعوب عن انظمتها ..

وتعظه سابعا : هناك المنتفعون بنظامك ، وهناك المخلصون لعرشك ، فلتقرب هؤلاء منك ولتبعد اولئك عنك فهؤلاء هم اركان عرشك ، واولئك هم السوس الذى ينخر اركانه ، ويقوض بنيانه .. ولتحذر فكلام اولئك معسول وكلام هؤلاء مرير كالعلقم ، ولتختر مرارة الحاضر لانها عسل المستقبل ، ولتنبذ عسل الحاضر لانه علقم المستقبل لابل سمومه .. تلك كانت العظمات السبع التى همست بها الحقيقة فى اذنى الشاه فهل اتعظ بها واتخذها دستورا لحكمه ونهجا لسلوكه ؟..

ب) مرحلة انتقال : بعد ان استتب الامر للشاه ، واخذ يمعن النظر فى الاسباب التى ادت الى انتصار مصدق فى الجولة الاولى والى هزيمته فى تلك الجولة ، خيل اليه انها تعود فقط الى حقائق اربعة

الاولى : موقف التيار الدينى او بالاحرى العداء المستحكم بين المسجد وبين الامبراطور فهذا التيار كما نذكر هو الذى ارتفع بمصدق ومن ثم اسقطه ...

الثانية : ضعف اجهزة الامن الداخلى ، وضرورة ربط القوات المسلحة بالامبراطور ، ربطا عضويا يؤمن انتصارها له فى جميع الاحوال والظروف ..

الثالثة : النظام الاقتصادى البالى الذى ورثه عن ابيه ، حيث

ان هذا النظام امسى بمسيس الحاجة الى الاصلاح والى توسيع ميادين فاعلياته ..

الرابعة : ضرورة ايجاد محور دولى يتمحور عليه فى السياسة الخارجية ويمده بالعون فى سياسته الداخلية ولاسيما فى مناهجه الاقتصادية والاجتماعية والتسليحية والأمنية .. وقد اختار الشاه بحكم طبيعة نظامه ، وبحكم الواقع الدولى وبحكم مستوجبات تنفيذ مناهجه ، الولايات المتحدة الامريكية ان تكون ذلك المحور .. عمد الشاه خلال المرحلة الانتقالية الى معالجة قضايا الاقتصاد الايرانى التعامل والحقائق الاولى والثانية والرابعة .. فلقد رأى ان الاصلاح الاقتصادى ينبغى ان يسبقه المناخ السياسى والامنى المطلوب . وقد وجد ان النهج العلمانى الذى انتهجه والده من قبله ، هو النهج الذى ينبغى ان يتبعه ويتابعه ويستمر فى السير على هديه الامر الذى جعله يعمد بعد سقوط مصدق الى سياسة اشد تصلبا وعنفا والتيار الدينى .. وقد عزم على حصر نشاطات رجال الدين بالشئون البدينية المحضة ، والقضاء كليا على كل مالهم من نفوذ فى الحياتين السياسية والاجتماعية .. فاصدر تشريعا يقضى باستيلاء وزارة التعليم على جميع المدارس التى يملكها ويديرها رجال الدين ، واخضاع هذه المدارس على جميع درجاتها لمناهج التعليم الايرانية .. واتبع هذا التشريع بتشريع اخر يقضى باستيلاء الدولة على مساحات واسعة من الاراضى الزراعية العائد ملكيتها الى الاوقاف الدينية بالاضافة الى نزع ملكية الاوقاف لعقارات اخرى .. وقد رافق هذه الاجراءات نشاط بوليسى شديد

استهدف قمع العناصر والجمعيات المتعاطفة والتيار الدينى ، وقد بلغ النشاط البوليسى ذروته باعدام صفوى زعيم جمعية فدائيان اسلام .. كما استصدر الشاه قانونا يقضى بمعاقبة تجار المخدرات ومهربيها بالاعدام .. وقد اعدم فى ظلال هذا القانون عددا عديدا من عناصر المعارضة السياسية بتهمة الاتجار بالمخدرات او تهريبها .. يتضح مما ورد اعلاه ان الشاه قد اعلن بعد عودته الحرب الشاملة على التيار الدينى ومؤسساته وأعلن انه لاهدنة او صلح بين المسجد والامبراطور ولا بين الثكنة والحسينية ، وان الصراع سيستمر ويزداد ضراوة ، حتى يقضى احدهما على الآخر .. ولقد تصدى رجال الدين لمقاومة الشاه وكان ابرز من تصدى له اية الله الخمينى الذى القى عليه القبض وكاد يحكم عليه بالاعدام لولا تدخل اية الله شريعة مدارى .. حيث أمن للخمينى الحصول على مرتبة اية الله الامر الذى انقذه من الاعدم ، فاكتفى الشاه بنفيه الى تركيا حيث انتقل منها الخمينى بعد فترة قصيرة الى (النجف) فى العراق ، فامضى فى الديار العراقية قرابة ثلاث عشرة سنة منفيا عن بلاده ..

ج) **قمع لاحوار** : عزم الشاه بعد عودته على النهج مع جميع معارضيه نهجا قمعيا لاتصالحيا ، فأنشأ دائرة مباحث امن الدولة التى اصبحت فيما بعد ، شهيرة اوسع شهره باسم السافاك وكانت لها الأولوية من اهتمامه فاستدعى الخبراء فى هذا الميدان من الولايات المتحدة ومن اسرائيل ايضا ، وزودها بجميع المعدات الحديثة من الكترونية ، وسواها المرصودة

للتجسس على المواطن ومراقبة نشاطات البشر وكان للسفاك بندان فى ميزانية الدولة العامة .. الاول منهما علنى وآخر سرى ومدرج ضمن الاعتمادات المخصصة للبلاط الامبراطورى وقد اطلق الشاه يدها فى التعامل مع المواطنين .. وهكذا وجدت السافاك تقوم احيانا بدور الشرطة والقاضى والجلاد حيث انه كان من المحظور عمليا اقول عمليا على القضاء ردع او قمع او معاقبة اى من افرادها فى حالة خروجه على القانون ، اذ ان الشاه جعل السافاك من الوجهة العملية مرتبطة ارتباطا مباشرا بشخصه .. وكان للسافاك سجونها الخاصة بها واقبية للتوقيف فى مختلف احياء طهران والمدن الايرانية الاخرى .. وكان حتى الموظف من الحلقة الوسطى من موظفيها مخولا من الوجهة العملية باعتقال اى مواطن وزجه فى السجن ، والتحقيق معه واخضاعه لشتى وسائل التعذيب النفسانى والجسدى معا ، بحيث امست تجاوزاتها على القانون وانحرافاتها عن المهمة الاساسية الموكلة اليها ، الأمر الطبيعى لا الشاذ ، ولم يمض طويل الزمن حتى اصبح ذكر اسم (السافاك) يثير الرعب فى قلب المواطن الايرانى ، ولكنه كان فى الوقت ذاته يستحث فيه التربص والحقد ، ويشحذ ارادة الثأر فى اعماقه ، ولذلك كان الجنرال نصيرى رئيس السافاك ، فى طليعة القافلة الاولى التى اعدمها الخمينى ، وقد بقيت جثته ملقاة فى احد شوارع طهران ، طوال ثلاثة ايام كأنها نفاية تعمد او أهمل عامل التنظيفات تكنيسها من الشارع ، فالانسان المواطن لابد من ان يوهب ذات يوم المقدرة على المغفرة او الانتقام ولكن نادرا ما يغفر الانتقام ..

والحق ان (السافاك) لم تسيء فقط الى المواطن الايرانى ، بل كانت اساءتها الى الشاه ونظامه اشد ضررا ، اذ سرعان ما اصبحت منبرا رئيسيا يعتليه كل معارض او هدام يتوخى التعريض بالشاه والتنديد بنظامه والتحريض على الثورة .. ومن المحزن ان الشاه لم يفطن الى اضرار السافاك الا بعد فوات الاوان بعد اشتعال فتيل الثورة ، وصيرورة انفجارها امرا محتوما ، حيث زج بالجنرال نصيرى فى السجن ، معتقدا بان اعتقال رئيس السافاك قد يساعد على اخماد البركان .. ناهيك بان اولى مبادرات شاهبور بختيار اخر رئيس وزراء للشاه ، جاءت متمثلة فى اعلانه عن حل السافاك مؤسسة ونهجا .. ولكن حتى هذه المبادرة كانت اعجز بكثير من ان تمحو ذكرى الجرائم التى طبعتها الحقيقة والمبالغة والاختلاق على اذهان الناس .. فالسافاك كانت بالنسبة الى الايرانيين ترمز الى ماكان يرمز اليه سجن الباستيل فى حقبة الثورة الفرنسية اذ انها كانت رمز الظلم والاذلال وامتهان كرامة المواطن .. ولم تكتف السافاك بان تكون فقط المستنهض لهمم الشعب الايرانى على الثورة على الشاه بل كانت ايضا المضلل للشاه ونظامه ، فنصف تقاريرها كان اكاذيب والنصف الآخر كان محاطا بالشك من كل جانب ، وعلى الرغم من انها كانت فى تقاريرها تهدف الى فرض حياة من قلق دائم على الشاه ، كى تبرر ضرورة بقائها ، وتبرر تجاوزاتها وانحرافاتها غير انها حرصت ايضا على مزج سمومها هذه بسموم اشد فتكا من اجراءاتها القمعية الشرسة .. فكانت تصور للشاه ان المعارضة والمعارضين لايمثلون غير فئة قليلة من الشعب وان

الاكثرية الساحقة من الامة الايرانية تلهج بحمده بكرة واصيلا ، الامر الذى لم يتح للشاه اية فرصة لمراجعة ذاته ، ولمراجعة حساباته واجراءاته على اضواء ردود الافعال الشعبية ، والحق ان طبيعة الشاه بالذات كانت مفطورة على تصديق مختلقات السافاك عن رضاء الشعب وولائه للامبراطور ، فالنرجسى يتعبد لذاته فى هيكل الغطرسة والاستعلاء ويصدق الكاذب ويكذب الصادق اذا جاء الكذب متفقا ومنطق الغطرسة وكان الصدق منافيا لنازع الاستعلاء وهكذا اغمضت (السافاك) عينى الشاه عن رؤية الواقع وساقته الى العيش فى عالم الوهم ، فداهمته الثورة لتعيده من عالم السافاك الى عالم الامة الايرانية الذى لم يعرفه الا فى منافيه ، فى مصر والمغرب وجزر الباهماس والمكسيك وبناما ومن ثم فى مصر حيث انه لولا الرئيس السادات لما كان سيعثر على قبر يرقد فيه .. تلك كانت سلبيات سياسة الشاه بعد عودته الى عرشه فهل كانت ثمة ايجابيات ايضا ؟ ..

امبراطورية الشاه

١) - الاستقطاب :

اسدل الستار على مصدق وجبهته وانسحب اليسار والشيوعيون الى سراديبهم ، وانجزر المد الدينى . وعاد المثالى والطامع والعميل والطامح كل الى مستقره وخلت الشوارع من ايران وشعوبها ، واسترخى كل ماق ومن فى طهران ، فلقد آن للجماهير ان تستريح وتريح ، بعد عواصف عاتية عن التخبط والانفعال ، فاستاثر الشاه بالسلطات الثلاث ، التشريعية والتنفيذية والقضائية ، واصبح من حيث الواقع ، الامبراطور والمشرع والقاضى ، واطمان الى رسوخ سلطانه واحس بحريته فى التحرك والحركة كيفما شاء ... واينما شاء ولما كانت السياسة الخارجية لكل دولة ، امرا مرهونا بعوامل اربعة هى :

الاول : السياسة الداخلية بكل ميادينها

الثانى : الجغرافيا السياسية .

الثالث : المطامح او المخاوف القومية .

الرابع : النوعية الايدلوجية للنظام القائم .

لذلك وجد ان الولايات المتحدة الامريكية هى افضل حليف له بحكم الطبيعة والظروف معا . فاتجه نحوها واتخذ منها قطبا لرحاه فهى :

اولا : معين لاينضب للتصنيع والتسليح .
وهى ثانيا : السد المنيع الاوحد امام الاتحاد السوفيتى ، ولاسيما ان لايران حدودا مشتركة والسوفيت تتجاوز الالف والخمسمائة كيلو مترا طولا
وهى ثالثا : الملاذ الامين من مطامع السوفيت فى اذربيجان وغيرها من الاقاليم الايرانية بالاضافة الى كونها قوة وسندا للشاه فى مطامحهالى التوسع والهيمنة وتاكيد وجوده الدولى .
وهى رابعا : بحكم طبيعة نظامها ، معادية للشيوعية فلسفة ونظاما ومنهجا . وهكذا وجدت الشاه فى المرحلة الاولى من سياسته الخارجية ، الى مرحلة احتضانه لامريكا ، واحتضان امريكا له ، يذكرنا بسياسة رجل الدولة النمساوى ، مترنيخ وبمواقفه فى مؤتمر فيينا بعد هزيمة نابليون فى معركة واترلو . اذ اصبح الشاه الكاهن الاكبر لليمين الدولى العلمانى المتطرف فى الشرق الاوسط ، ولاسيما فى ميدان الاحلاف العسكرية حيث اصبحت ايران العضو الاساسى فى حلف بغداد ، والعضو المؤسس فى حلف السنتو ، واصبح الشاه البريمودونا بالنسبة للسياسة الامريكية فى المنطقة وذلك لان الولايات المتحدة الامريكية وجدت فى الشاه العاهل القادر على الابقاءالمتطلبات الاساسية لسياستها فى المنطقة واعنى بهذا المتطلبات التالية .. :
١) الحليف على الاتحاد السوفيتى وعلى مناهضة الشيوعية الدولية معا .
٢) العامل الهام فى تصفية تركة الامبراطورية البريطانية فى المنطقة لحساب الولايات المتحدة الامريكية .

٣) الشرطى الكفؤ والمنضبط لحراسة الخليج العربى وحقول بتروله .

٤) الجدار الهام فى جدران المحجر الوقائى المنوى حجر العالم العربى الشرق اوسطى داخله ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان زخومية التعاون ، او بالاحرى الاستزلام الشاهنشاهى للولايات المتحدة الامريكية بلغت اشدها فى عهد الرئيس نيكسون وكيسنجر الذى عرف كيف يعزف بمهارة على قيثارة مطامح الشاه او مطامعه .

ب) الشاه والعالم العربى : بينما يقول القرآن الكريم .. (يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) تقول شرائع اليهود ويونان الاسكندر وفارس والرومان مايلى : (من جاورك فهو عدوك تخضعه او يخضعك وتبداه بالحرب متى استطعت ، او يبادرك هو بالحرب متى استطاع) .. من شريعة فارس ، لامن الشريعة الاسلامية انطلق الشاه كما ينطلق اليوم الخمينى ، وسارع الى القبول بان يكون الجدار الهام من جدران المحجر الوقائى المعد للعالم العربى ، هذا المحجر الثلاثى الشكل ، وذو الاضلاع الثلاثة ، والمشكل من طهران ، وتل ابيب واديس ابابا ، ويشاء يمن الطالع او سوءه ، ان يكون عالمنا العربى الشرق اوسطى يتمتع بمركز فريد من نوعه جغرافيا وعسكريا واقتصاديا ، فهو بمثابة جسر يربط بين قارات ثلاث ، اسيا واروبا وافريقيا ، وذو ممرات ومضائق مائيه تربط بين بحرين ومحيطين وتختزل المسافات اختزالا بالغ الاهمية بالنسبة الى التجارة الدولية ، والمواصلات

العسكرية كما ان بلدانه تشكل خط الدفاع الثانى بعد تركيا وايران وتختزن أرضه ثروات هائلة اهمها النفط . دماء الحضارة الحديثة ومحرك صناعاتها والاتها الحربية اضف الى ذلك كونه ميدانا مغريا للاستثمارات وسوقا ذا قدرة شرائية لابأس بها ومصدرا رئيسيا للدولار البترولى ، وعاملا بالغ الاهمية بالنسبة للنشاط المصرفى وللسندات الحكومية الامريكية وسواها لذلك كله اصبحت لعالمنا العربى الشرق اوسطى الاولوية المطلقة فى سلم االاولويات العسكرية والاقتصادية من تجارية واستثمارية ومعونات وقروض الخ .

ولما كانت غريزة الطامع ومنطقه يجمعان علي ان ابقاء عالم هكذا حاله . كعالمنا العربى مفككا وهزيلا هو افضل وسيلة للحفاظ على مصالحة وتوسيعها وتحقيق اطماعه وذلك لان التعامل مع الضعيف ايسر سبيلا واوفر نفعا اذ يصبح تعامل كهذا املاء ارادة وفرض مشيئة لذلك كان لابد من خلق او إيجاد قوة تكبح من جماح العرب وتبقى شعوبهم على حال من هزال وضعف وترغم دولهم على التطلع دائما وابدا الى الدول الكبرى طلبا للحماية او العون عند كل خطر او نذير بخطر ، ولما كان عصر الاستعمار فى مطلع النصف الثانى من القرن العشرين يختلف كليا فى وسائله عن عصر الاستعمار فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (الذى يعتمده اليوم الاتحاد السوفيتى) لذلك ينبغى ان تكون القوة الكابحة والمضعفة للعرب من داخل المنطقة وملتزمة لابل خاضعة لتوجيه الدولة او الدول الكبرى ومنفذة لسياستها وهكذا تشكلت القوة المطلوبة من الثالوث ، ايران

واسرائيل وحبشة هيلاس لاسى .

ج) – تاريخ حافل : ان تاريخ علاقاتنا بايران البهلوية تاريخ حافل بمرير الذكريات ففى عام ١٩٢٥م وبموافقة بريطانيا ارسل والد الشاه الجنرال فضل الله على رأس جيش الى الاهواز فاحتلها واعتقل اميرها الشيخ خزعل وزجه فى احد سجون طهران ، حيث قتل خنقا ، وبدل اسمها الى اسم خوزستان ، ومنع تدريس اللغة العربية وفرض اللغة الفارسية على اهلها العرب ونقل عشائر عربية باكملها الى شمال ايران ، واحل محلها جاليات فارسية .. وفى عام ١٩٣٧م ارغم العراق على عقد معاهدة مع ايران ، حصلت ايران بموجبها على سبعة كيلو مترات من الاراضى العراقية مقابل عبادان ولم تكتف ايران بذلك بل نقضت حتى هذه المعاهدة فى ١٩ ابريل من عام ١٩٦٩ وعادت لتطالب بالمزيد من اراضى شط العرب وفى شهر نوفمبر من عام ١٩٥٧م اعلنت الحاق البحرين بالتقسيمات الادارية الايرانية وقد اعتبرت البحرين المحافظة الرابعة عشرة من محافظات ايران ولقد قام الشاه فخص البحرين بمقعدين من مقاعد مجلس النواب الايرانى وقد شغل هذين المقعدين مواطنان بحرنيان ايرانيا الاصل هما عبدالله الزبره وعبدالحميد العليواث . ويجدر بنا ان نشير هنا ان الملك الراحل فيصل طيب الله ثراه هو الذى انتزع اعتراف الشاه باستقلال البحرين وذلك فى شهر اغسطس من عام ١٩٧١م . وفى اليوم الثلاثين من شهر نوفمبر من عام ١٩٧١م احتلت ايران وبموافقة بريطانيا ايضا . وقبل انسحابها من الخليج ، الجزر العربية الثلاث : طنب الكبرى وطنب

الصغرى التابعتين لامارة رأس الخيمة وجزيرة ابوموسى التابعة لامارة الشارقة ، اضف الى ذلك احتلال ايـران فى عام ١٩٥٠ لجزيرة هنجام القريبـة من رأس الخيمة والتى كـان يبلغ عدد سكانها قرابة ستة الاف نسمة وكان يحكمها احمد بن عبيد بن جمعة المكتوم . اضف الى ذلك جزيرة صرى الواقعة بين ابوظبى والشارقة ، والتى احتلتها ايران فى عام ١٩٦٤م وانشات فيها مطارا حربيا هاما ، واضف ايضا وايضا الجزيرة المعروفة باسم جزيرة الغنم التابعة لعمان والواقعة على مضيق هرمـز واضف ايضا وايضا وايضا ان ايران تـطالب بثلاث جـزر فى الكويت ولاتزال وحتى فى عهد الخمينى ترى ان حدودهـا مع العـراق والكويت والمملكة العربية السعودية ليست بحدود نهائية حيث جرت فى عام ١٩٦٦م مفاوضات بين ايران من جهة وبين المملكة العربية السعـودية والكـويت من جهة اخـرى ، حول الجـرف القارى والجزر الكويتية التى تطالب بها ايران ، ويشاء الشاه كما شاء والده من قبـل ان يجعل من الاستعـلاء والغطرسـة دبلوماسيته فى تعامله والعرب ، فالشاه لم يرض بالقيـام حتى بدور الشقيق الاكبر بـل اراد ان يكون حـامى الخليج وسيـد العرب ، وهكذا سمعتة يعلن جهارا نهارا ويقول :

يجب على ايران ان تبنى مستقبل خططهـا العسكريـة على الخليج .. نحن لانرغب فى ان تخرج القوات الاجنبية من الخليج الفارسى لتحل محلها قوات اخرى .. ولاشك ان امـرا كهذا لن يحدث ، وسيكون ضمان حرية الملاحة فى هذه المنطقة مناطا بنا ونحن وحدنا قادرون على القيام بالتزاماتنا على اكمل وجه .

د – الشاه يشب عن الطوق : من طبيعة النرجسى انه لايعرف ابدا الحدود الفاصلة بين الممكن والمستحيل الامر الذى كان السبب الاوحد وراء سقوط الشاه واندثار نظامه فالولايات المتحدة الامريكية ارادته ان يكون منطلقا لها وقاعدة ترتكز اليها ، لا ان تصبح وهى الدولة الاعظم منطلقا للشاه الى مطامحه ومرتكزه فى تحقيق احلامه الامبراطورية وقد ارادته ان يكون قوة تهديد واضعاف للعرب لاقوة تطمح الى الانفراد بالسيطرة على الخليج والعرب لقد ارادته ان يكون قوة تحييد لاقوة تعمل لحسابها الخاص ومستقلة عنها تماما وارادته ان يكون حمامة الاوبيك لاصقرها فاذا بالشاه يصرح فى اليوم الخامس عشر من شهر مارس عام ١٩٧٦م لمجلة يو . اس . نيوزاند ورلد ريبورت قائلا : (ان ايران تستطيع ان تضر بالولايات المتحدة الامريكية بقدر ما يستطيع الامريكيون الاضرار بنا ، ان لم يكن اكثر من ذلك ، وان اضرار ايران بامريكا لن يتمثل فقط فى قضايا البترول . بل فى قدرتنا ايضا على خلق المتاعب للولايات المتحدة الامريكية فى منطقة الخليج باكملها) ..

واذا بالشاه يتبع تصريحه الانف الذكر بتبنيه قرارا يقضى برفع اسعار النفط بنسبة ١٥٪ . واذا بالشاه اخيرا يتجاوز الخط الاحمر فيخرج عن الدور المرسوم له ، ويقوم بزيارة الاتحاد السوفيتى ويستقبل مختلف البعثات السوفيتية ، ويعلن امريكا ، من خلال الفعل لاالقول انه سيتعامل معها تعامل الند للند،ولن يكون تابعا سيارا فى فلكها ، الامر الذى جعل الدوائر الامريكية تتخذ قرارها الحاسم بتاديبه او اسقاطه اذ انها خشيت ان

ينتهى الشاه الى نوع مما عرف خلال الخمسينات بالحياد الايجابى ، الامر الذى سيخرجه حتما من الفلك الامريكى الى الفلك السوفيتى كما كانت الحال والرئيس جمال عبدالناصر .

هـ - تأديب ام اسقاط : بدأ الشاه يشعر بتحرك امريكا ضده . فادلى بحديث الى مجلة (تايم الامريكية) انتقد فيه وكالة الاستخبارات المركزية ، واتهمها باقامة علاقة من تعاون بينها وبين العناصر المعارضة - . وقد نشر حديثه هذا كما اذكر فى شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨م وفى الشهر الاخير من العام ذاته ، ارسل الشاه كتابا الى الحكومة العراقية ، يحذرها من ان العراق لن ينجو من الاضطرابات التى تعانيها ايران ويقول ان الولايات المتحدة الامريكية تحاول استبدال الانظمة القائمة فى المنطقة بتحريك الصراعات المذهبية . وانهى كتابه مطالبا الحكومة العراقية بضرورة فرض رقابة شديدة على نشاط اية الله الخمينى ، وقد اتهم الشاه الخمينى بان له او لاعوانه صلات وثيقة بالمخابرات الامريكية ، ويشاء سوء طالع الشاه ان تكون علاقاته بالحزب الجمهورى الامريكى ، ولاسيما من خلال كيسنجر وروكفلر ، علاقات اكثر من جيدة ، وان يكون الحزب الديمقراطى هو الحاكم بينما كان نظام الشاه يترنح تحت ضربات جماهير ايران ، فالحزب الديمقراطى بحكم المنافسة السياسية، لم يكن مرتاحا الى التعاطف الخاص بين الشاه وبين الحزب الجمهورى . ومع ذلك كله فاننى لااستطيع ان آذهب الى الجزم بأن الولايات المتحدة الامريكية برئيسها الديمقراطى جيمى كارتر كانت تتوخى اسقاط الشاه لا تاديبه ، وذلك لان البيت

الابيض ولاسيما برجنسكى ، بقى حتى اللحظة الاخيرة مساندا للشاه وكذلك كان ايضا حال سيده .. ومعارضا لنصائح وزارة الخارجية الامريكية القائلة بان الشاه قد انتهى امبراطورا ونظاما . وعلى الرغم من أن الدستور الامريكى يجعل من الرئيس الامريكى السيد المطلق الحرية فى التصرف فى الشئوون الخارجية توجيها وتنفيذا لكن واقع التركيب السلطوى الامريكى ، يجعل من حيث الممارسة ، ادارات اخرى كوكالة الاستخبارات الامريكية ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع .. الخ تعمل لحسابها الخاص وتتجاوز تعليمات البيت الابيض وتضع رئيسه امام الامر الواقع ، وهكذا سمعت الجنرال ربيعى ، قائد السلاح الجوى الشاهنشاهى يقول اثناء محاكمته امام محكمة الثورة الاسلامية عن دور الجنرال هويزر الامريكى الذى اوفدته امريكا الى ايران قبيل سقوط الشاه ، ما نصه بالحرف الواحد :

(لقد القى الجنرال هويزر بالامبراطور خارج ايران كما يلقى بالفار الميت)

وكذلك تقرأ ايضا فى مذكرات الشاه قوله : (عرض الجنرال عرضا غريبا على رئيس اركانى الجنرال قرة باغى .. وهذا العرض هو ان يلتقى بمهدى بازركان الذى عينه الخمينى رئيسا للوزراء ، على الرغم من ان شاهبور بختيار كان لايزال يشغل هذا المنصب واستطرد الشاه قائلا : (لقد نجح الجنرال هويزر فى اقناع جنرالات الجيش بالتخلى عن الدكتور شاهبور بختيار) . ولذلك نقول ان دور الولايات المتحدة الامريكية او بالاحرى دور وزارة الدفاع كان يختلف كليا عن دور كيرميت روزفلت ايام

مصدق فهو يزر حضر هذه المرة الى طهران ليقوم بدفن الشاه ونظامه ، لابتشييع جنازة الخمينى ودفن ثورته

ز - استدراك : ينبغى الا نفهم من القول الآنف الذكر ان الولايات المتحدة الامريكية هى التى اسقطت الشاه فالذى اسقطه هو الشعب الايرانى وحده ، شأنه فى ذلك شأنه ومصدق فعندما انسلخ الشاه عن شعبه ، واختار القوات المسلحة شعبا له ، حكم على نفسه بالسقوط وعلى نظامه بالاندثار فالجيش قد ينتصر للنظام مرتين وثلاثا واربعا ، ولكن الشعب اذا استمر فى نضاله العنيد فلابد للجيش ان ينضم الى صفوف الشعب ولقد جاءت ثورة المجندين من الجيش الايرانى على ضباطهم والمعركة التى دارت فى احدى القواعد الجوية بالقرب من طهران بين جنودها وبين الحرس الامبراطورى ومن ثم فرار العديد من العسكريين من صفوف الجيش وبختيار لايزال رئيسا للوزراء واخيرا اعلان قائد القوات المسلحة الايرانية اتخاذها موقف الحياد من الصراع بين الشعب والعرش ، اقول جاء كل ذلك بمثابة الدليل القاطع على صدق ماذكرته انفا فجماهير الشعب الايرانى بعد ان صمدت الصمود العنيد امام الجيش كان لابد للجيش من التراجع ومن ثم التخلى واخيرا الفرار من ميدان المعركة وترك الشاه لمصيره لذلك فان مهمة الجنرال هويزر لم تكن ذات شأن او اثر فى تغيير مجرى الاحداث صدا او دفعا فالاحداث حينما تنطلق من عقالها تصبح اسيرة لدينا ميكيتها الخاصة بها ، ولا تعود خاضعة لاية قوة خارجة عن زخوميتها بل تتابع مسارها ساحقة كل ما ومن يعترض سبيلها فمنطق الثورة

لايفهمه العقل حتى عقل الدولة الاعظم . لقد استعاض الشاه عن الاسلام بالعلمانية و عن شعبه بالجيش فخذله العلمانيون فى ساعة الشدة ولم ينصره العسكريون فى لحظة الحسم اما اصدقاؤه الامريكان فسرعان مانسوا تماما قصة حبهم الطويل والشاه ، فانطلقوا يغازلون الخمينى بسمة وهمسا كانهم مراهق خجول لكن هدير الثورة اغرق همساتهم وتجهم الخمينى كسف بسماتهم اما الشاه فاقتنع بانه ليس للدول الكبرى اصدقاء دائمون ولا اعداء خالدون بل ان لها مصالح دائمة .



العلمانية تحكم ايران

١- مدخل :

يقولون ان عيوب المرء مكتسبة من عصره ، اما فضائله فهى ملك خاص به ولا علاقة او تاثير لعصره فيها . فطوال الخمسينات والستينات من هذا القرن طغت الموجة المادية على شعوب العالم الثالث ، واصبحت العلمانية بمثابة دين العصر وفلسفته ، وغدت الاشتراكية هيكل هذا الدين ومعبده ، وامست الثورية ناظما لطقوسه والثوريون كهنته ورهبانه ، وغمر ماركس وانجلز وماوتسى تونج بظلالهم كل موروث وتراث ، فتنكر لابل انكر البعض تاريخه ، واصبح كل ما كان قبل ماركس متخلفا فاسدا ورجعيا . وغدا كل ما ينطلق من ماركس والماركسية صالحا وتقدميا ، فماركس قد نسخ تاريخ الحضارات والغاه ، وبالماركسية وحدها يبدأ تاريخ الانسان الحضارى حيث لا طريحه THESES ولانقيضة ANTITHGESES بل جمعية فقط SYNIHESES وذلك لان ماركس يرى ان تاريخ الانسان ليس بتاريخ تساميه الموصوف بالاية الكريمة (يا ايها الانسان

انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) بل انما هو تاريخ الانسان الملاحق لغاياته الاقتصادية والكادح فى سبيلها . فماركس قد اختزل الانسان الى معده وجاء من بعده سيجموند فرويد فاختزله الى جهاز او آلة جنس ، ولذلك فان كل حافز او نازع لا ينبع من المعدة تسقط عنه الصفة التاريخية ، فليست لدى ماركس ثمة فضائل ، فكل ما يخدم مصلحة الطبقة العاملة هو فضيلة ، وكل ما يتعارض ومصلحتها هو رذيلة ، فلقد قال لينين مثلا : (ان كل عمل يساعد على الثورة هو عمل صالح ، فليست الوسيلة هى الميزان ،بل الغاية) ولذلك فالماركسية لا تؤمن بان ثمة ثوابت تاريخية ، وثمة افعال تنطلق من النخوة والشرف ، فالعوامل الاقتصادية ، هى عناصر ديناميكية الجدلية المادية التاريخية ، لهذا السبب ينبغى ان يكون الرغيف الغاية والهدف ، فالخبز وما يرمز اليه من كسب ومنفعه كان ولازال ، فى نظر ماركس محرك التاريخ وموجهه ، واما الشهادة والاستشهاد او المثل العليا فهى مشتقات من افيون الشعب ، اما الاخلاق فهى اعراض لا جواهر ، وتفرضها الطبقة المالكة لوسائل الانتاج على المجتمع والدولة ، فالنظام الاقطاعى له اخلاقيته الخاصة به ، وكذلك النظام الرأسمالى ، وهكذا دواليك حتى النظام الشيوعى ، وبهذا يكون ماركس قد نفى الثوابت التاريخية جملة وتفصيلا ، وجعل الانسان كالحرباء ، تماما يتلون اخلاقا وعقائد بلون ظروفه الاقتصادية والاجتماعية ، اما التاريخ فهو فى نظر ماركس تاريخ الصراع بين الطبقات .

هذه ابرز عقائد ماركس الفلسفية ، وهى كما يرى القارىء لا

ترتفع كثيرا بالانسان عن مستوى الحيوان الذى خلق لياكل ويعيش وينفق ، وذلك هو مذهبه الاخلاقى الخاضع بمفاهيمه لسلم التطور الاقتصادى فالاجتماعى ، والمعتمد المكيافيلية شكلا وموضوعا ، وذلك هو مجتمعه الداروينى (نسبة الى داروين) الذى ينتظمه تنازع البقاء ، حيث تسود الغريزة وتسيطر .

ويجىء بعد ماركس سيجموند فرويد فيعلن ان الجنس والرغائب الجنسية المكبوته منها وغير المكبوته هى دينميكية تاريخ الانسان وبوصلته ، وهكذا يلتقى هذان الفيلسوفان اليهوديان على اعتبار الحس (وهذا بدوره نتاج المادة ايضا) هو وحده جدلية التاريخ

تلك كانت مقدمة لابد منها . كى نتفهم ونفهم الاسباب التى دفعت بالشعب الايرانى الى الثورة على الشاه ، وعلى الرغم من المنجزات الضخمة التى حققها الشاه فى ايران ولايران .

ب - ثورة الشاه البيضاء :

من تلك القواعد الفاسدة انطلقت جميع التيارات الاصلاحية والثورية التى اخذت تعصف بالعالم الثالث وشعوبه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وقد بلغت التيارات اشدها من العتو والطغيان خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن ، كان اشد دعاتها تطرفا هم المثقفون الذين نهلوا من الثقافات الاجنبية ماركسية كانت ام ليبرالية ، وذلك لان الديمقراطية الليبرالية بجميع فروعها ،ولاسيما الاشتراكية منها ، تنبع من المادية

ذاتها التى تنبع منها الماركسيـة ، ففرنسيس بيكـون هو والد ماركس ، اما هربرت سبنسر فهو عرابه .

والحق ان تيار الشاه الاصلاحى ، لم يشذ عن تلك القواعد ، وذلك لان العلمانية التى ورثها عن ابيه ومارسها طوال عهده قد ابقته رهين سجن الجدلية المادية ، الامر الذى جعله عاجزا عن ادراك الفوارق الجوهرية بين العدل الاجتماعى فى الاسلام وبين الاشتراكية التطورية الاصلاحية التى انتهجها فى ايران :

جـ - منجزات الشاه :

لاخلاف ان الانسان المادى العقلانى حينما يتامل فى منجزات الشاه ليقف مذهولا امام ثورة الخمينى ونجاحها فى خلع الشاه واسقاط نظامه ، وذلك لانه سيرتبك ويحتار فى تفهم اسبابها وفهم سببيتها ، فما حققه الشاه وانجزه ابتداء بعام ١٩٦١م وانتهاء بعام ١٩٧٧م لهو والحق ضخم غاية الضخامة وفقا حتى لاى معيار مادى او ميزان علمانى ،ووفقا لاى مفهوم اشتـراكى او قاعدة ماركسية .ففى شهر مايو من عام ١٩٦١م اصدر الشاه مرسوما يقضى بحل المجلس النيابى العشرين ، وذلك لان الشاه وجـد ان المجلس المذكـور سيعارض حتمـا مشـروع قـانـون الاصلاح الزراعى الذى ينتوى اقراره وتنفيذه فى ايران ، فقبل صدور هذا القانون كانْ ثمة الف عائلة ايرانية تملك ثمانين بالمائة من الاراضى الزراعية الجيدة ، وكانت هذه العائلات تشكل طبقة اقطاعية واوليغاركية معـا وتستـأثـر بسياسـة البلاد وبـرقاب العباد ، وفى عام ١٩٦٢ اصبح للاصلاح الزراعى قوة القانون ،

وقد استفاد من الاصلاح الزراعى مليونان ونصف المليون عائلة ، الامر الذى لم تكن له انعكاساته فقط على البنيه الاقتصادية ، بل وايضا على الهيكل السياسى الايرانى ونظامه

وقد اتبع الشاه الاصلاح الزراعى بقانون يقضى بانشاء التعاونيات الفلاحية ، وتشكلت ما يقارب الثمانية الاف تعاونية زراعية ، فكانت تضم قرابة مليون منتسب ، وكانت هذه التعاونيات لاتحصر نشاطاتها فقط فى تقديم القروض لتسويق المحاصيل الزراعية ، بل تتجاوز ذلك الى القيام بخدمات اجتماعية من تعليم وصحة وسواهما ، ولم يستثن الاصلاح الزراعى الاوقاف الدينية بل شملها ايضا ، الامر الذى دفع باية الله الخمينى الى معارضة قانون الاصلاح الزراعى شكلا وموضوعا ، ورغبة من الشاه فى توفير الخدمات الصحية للريف ، انشأ اربعمائة وحدة صحية وقد انشأت هذه الوحدات حتى منتصف السبعينات خمسة وعشرين الف مستوصف فى خمس وعشرين الف قرية من قرى ايران الخمسين الف : كما قضى الشاه على الجدرى والملاريا والطاعون ..

اما العمال البالغ عددهم قرابة المليون والذين يعملون فى الصناعة المتوسطة والخفيفة والتحويلية فانتظموا فى نقابات واباح لهم القانون ممارسة جميع انواع النشاط النقابى ، كما اصبح لهم سهم لاباس به من الارباح ، اضف الى ذلك ان القانون اشترط ايضا ان يكون للعمال تسعة واربعون بالمائة من الاسهم فى المؤسسات الصناعية الرسمية ، وفرض ايضا تشكيل لجان تحكيم مختلطة من العمال وارباب العمل لفض

المنازعات والبت فى الخلافات بين رأس المال .. والعمل .

وطموحا من الشاه الى توسيع ميادين الصناعة ، اسقط الشاه الضرائب عن المؤسسات الصناعية المنوى انشاؤها واعفاها من الرسوم الجمركية وشتى الرسوم الاخرى ،وعرض على ملاك الاراضى ان يعوضهم عن ملكياتهم الزراعية المنزوعة لحساب الاصلاح الزراعى باسهم فى المؤسسات الصناعية . وعقد الشاه العزم على ان يجعل من ايران الدولة الصناعية السادسة فى العالم بعد (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى واليابان والمانيا وفرنسا) وهكذا وجدته يدخل بايران عصر الصناعات الثقيلة ، اذ اصبحت ايران بلدا منتجا للسيارات ولبعض المعدات الصناعية الاخرى ، كما سار الشاه ببلاده الى عتبات عصر التكنولوجيا ، فاشترى عددا من المفاعلات النووية من فرنسا ، ومن ثم تطلع ايضا نحو الاتحاد السوفيتى حيث ابرم مع السوفيات اتفاقا يقضى بمدهم بالغاز لقاء قيام الاتحاد السوفيتى ببناء مجمع من اكبر مجمعات الصلب فى آسيا وافريقيا فجرى تمديد خط لانابيب الغاز يبدأ بالحقول البترولية الجنوبية وينتهى ببلدة استرا السوفياتية الواقعة على بحر قزوين ، وقد بلغ طول الخط المذكور ٧٨٠ ميلا وبلغت طاقة ضخه فى عام ١٩٧٥م مليارا ونصف المليار قدم مكعب من الغاز يوميا ..

وعلى الرغم من الارتفاع النسبى للضرائب .. فلقد كانت الاستثمارات تجنى قرابة ثلاثين بالمئة من الارباح ، كما ان ارتفاع الاجور والمداخيل والمرتبات لم يكن له سوى الاثر الضئيل

فى ارتفـاع الاسعار ، وذلك لان الشـاه استطاع ان يكبـح من جماحها .

ومن ثم جاء ارتفاع سعر البـترول ليزيـد فى طموح الشـاه طموحا ، فلقد جن الشاه .. بامرين لا ثالث لهما الا وهو التسلح والتصنيع ، فلقد كان فى هذين الميدانين لا يتسابق والزمن ، بل كان يسبقه فى كل شوط ورغبة منا فى ايضاح القفزات الهائلة التى قفزتها ايران فى عهد الشاه سنكتفى بضرب المثل التالى :

بلغت المبالغ المرصودة للخطة السبعية ابتداء بعام ١٩٤٩م وانتهاء بعام ١٩٥٦م ثمانية وستين مليون دولار .. قفزت المبالغ المرصودة للخطة الخمسية ابتداء بعام ١٩٧٣م وانتهـاء بعام ١٩٧٨م من ثمانية وستين مليون دولار الى سبعين الف مليون دولار .

وفى عام ١٩٦٢م شن الشاه حمـلات كاسحـة على الاميـة وقد اشرك الجيش فى هذه الحملات فكان يفرض على المجندين من المتعلمين الذهاب الى القرى وتعليم الاميين من الفلاحين .. وقد انشأ الشاه ايضا اربعا واربعين دارا للمعلمين وثمان جامعات وبلغ عدد الطلاب الجامعيين فى عام ١٩٧٠م مئة الف طالب ، بـالاضافـة الى ثلاثـين الف طالب كـانـوا يتلقـون علومهم فى الخارج ،كما بلغ عدد المدارس المهنية والتقنية مائة مدرسة ...

ولكن الشاه مع جميع هذه الانجازات الرائعة فى ضخامتها لم ينج من اللعنة النازلة اليوم بمعظم بلدان العالم الثالث واعنى بهـذا تضخم العاصمـة على حسـاب القرى والبلدان والريف بصورة عامة ، فلقد كانت طهران تنتج ٥١ بالمائة من مجموع ما

تنتجه ايران من السلع ، وكانت تستأثر بثلاثة وثلاثين بالمائة من جميع الاموال المستثمرة فى ايران ، وكان ستون بالمائة .. من جميع الاجور والمرتبات فى ايران يتقاضاها العاملون والموظفون فى طهران .. وكان ثلاثون بالمائة من جميع المشاريع الايرانية تقوم فى طهران وكان فى العاصمة ثلاث جامعات هى جامعة طهران وجامعة ايران الوطنية وجامعة اريامهر الصناعية .. وقد كلف الشاه زوجته الامبراطورة فرح ديبا ، بوصفها مهندسة فيما مضى بالاشراف على وضع مخطط طهران بحيث يجعلها تتسع لخمسة ملايين من السكان .. ولكن الاحداث تشاء ان يتجاوز عدد سكان طهران الخمسة ملايين نسمة قبل ان يوضع ذلك المخطط موضع التنفيذ .

د - هل بالخبز وحده :

ذلك غيض من فيض من منجزات الشاه لابل روائعه التى ستجلوها يد التاريخ وسترغم كل مؤرخ علمانى ، وكل باحث مادى المذهب على التساؤل لابل التسليم بانه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .. فالفقر قد يكون الديناميت ولكن تفجيره يكون ويبقى بحاجة الى صاعق .. وقد ثبت لكل متامل موضوعيا فى التاريخ ، ولاسيما تاريخ نشوء الدول وتجسدها وازدهارها وسقوطها ، ان هذا الصاعق كان ومازال صاعقا من صنع الروح وحدها لامن صنع المعدة او رغائب الجنس .. ومن المعجب العجاب ان هذه الروح ليست قادرة فقط على تفجير الديناميت . بل وقادرة ايضا على تبديل طبيعة الديناميت المتفجرة تبديلا

كليا ، اذ انها تحيله ، اذا اخلص الحاكم والمحكوم للحق وحده ، الى زخوم هائلة تدفع لابل و تطير بالامم الى اهدافها بسرعةمذهلة لا مثيل لها الاسرعة الاسلام فى صدره ، وذلك لان الكادح الى ربه كدحا يحيل حتى الطاقة الهدامة الى قوة تتسامى به الى بارئه ..

وهـذا ما جهله الشـاه او تجاهله حينمـا انسـاق فى طريق العلمانية وهجر الاسلام .. وقد يقوم احد العلمانيين او المتعالمين فيقول ان خطوات الشاه فى تسارعها نحو التصنيع ، ونحو انشاء مجتمع صناعىء لم تواكب تطور الانسان الايرانى بـل خلفته وراءها اشواطا واشـواطا ، الامر الذى اضـطر معه المـواطن الايرانى الى الحرون ومن ثم الى الانتفاض فالثورة وقد يستطرد مثل هذا المتعالم فيقول:الشاه قد سبق زمانه ، وان من عـادة الشعوب ان تصلب من يسبقها ، من ابنائها .. ولكن .. ولكن ما قول هذا المتعالم بالماركسية القائلة بان سياط الحتمية تسـوق دائما الشعوب وتبلغ بها اهدافا ماكانت تحلم ببلوغها ابدا من قبل ؟

الا يرى معى هذا المتعالم ان الماركسية حينما تقرر ذلك تهدم اهم اركانها ، وهو الاقتصاد ؟

فتلك الحتمية التى تقول بها الماركسية ، وهى تحريف لمفهوم كلمة الايمان لان الايمان كما نعلم جميعـا لا يتدفق ابـدا من المعدة ، بل ينبع فقط من ضمير الانسان ، وان السبب كل السبب وراء نجاح ماوتسى تونج فى الصين هو براعته فى تحويل الحتمية الماركسية الى نوع من ايمان بنوع من دين ، ولكن مثل هذا النوع من الايمان الذى يمثل هذا النوع من الدين لايستمر طويلا ولا

يعمر ، اذ سرعان ما تخبو جذوته كما نشهد الان فى الاتحاد السوفيتى ، اذ اننا نرى ان معظم ابناء الاجيال الذين ولدوا وترعرعوا وشبوا فى ظلال الماركسية ، هم الذين يشكلون اليوم جيلا او بالاحرى اجيالا لرفض للماركسية والسوفياتية معا ، وهم المتمردون على الشيوعية مثلا اعلى ونهجا ، فالرغيف ضرورى ولكنه غير كاف البته لاشاعة الراحة والطمأنينة اللتين يشيعهما الدين والايمان بالله كما انه غير كاف البتة للحفاظ على زخومية الامة والتصاقها بقادة لايوفرون لها سوى ضرورات العيش ، ويمنعون عنها جميع ضرورات الحياة ، وشتان ما بين العيش والحياة ، اى شتان ما بين اللذة والسعادة .

جميع هذه الحقائق جهلها الشاه وذلك لان جميع منجزاته كانت تستنفر المعدة وتخدر الروح ، وكانت دائما مرفوقة بجهود تهدف الى طمس ايمان الشعب الايرانى المسلم دون ان تقدم له بديلا لايمانه الاصيل بالاسلام ، لذلك كانت ترغمه على العمل ، ولكنها كانت دائما تفشل فى استنفار حماسته اى ايمانه بما يعمل .. ولما كانت تربة شعوب الشرق تربة مستعصية على جذور المادية وكان التسامي وحده هو مولد زخومها لذلك جاء ما بذره الشاه وزرعه دون جذور فهوى حالما هبت عليه رياح الاسلام .. فالايمان لا يصنع المعجزات فقط بل يحافظ على استمرارية العمل ويزود الامة بانفاس ابدية ايضا .. وليس الحس او الحواس هى وعاء الايمان فكل شىء يفقد قداسته ، حالما يدخل عالم المحسوس ، وهكذا فان حياة الشاه ومصيره كانا اصدق برهان على انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان وعلى ان الايمان هو القوة

الوحيدة القديرة على الاجتياز بالامة النقطة الحرجة فى مراحل تطورها ، وان افضل السبل لايقاظ ايمان الامة هو ممارسته لا الدعوة اليه فقط فان يستشهد المرء فى سبيل ما يؤمن اسهل بكثير من ان يعيش وفقا لمنطوقه هذا ما سبق ان قاله ذلك الفيلسوف الرومانى سنيكا ، اضف الى ذلك ان للايمان رفيقا وحيدا الا وهو الحرية .. فليس الايمان فعل ارغام ، بل فعل حر ، ومثل هذا الفعل لايشترى برغيف ولا يتحقق باكراه ذلك هو السر وراء سقوط الشاه ونظامه فعلى خشبة الحرية ستصلب المادية فلسفة ونهجا .



ايران والآيات

أ - بين مد وجزر :

من سوء طالع الشاه انه بلغ المنعطف الحاسم فى مصيره ، حينما لم يكن حوله اولئك المستشارون الاعلام كقوام السلطنة وسيد زيا وحكيمى وعلم والجنرال فضل الله زاهدى وسواهم من دهاقنة السياسة فى ايران .. فآنذاك كان الموت او الشيخوخه أو النزوة او الغطرسة أو هذه كلها مجتمعة قد شتت شملهم واحلت محلهم اغرارا بارعين فى استقراء ما يرتاح اليه الشاه ، وأبرع من ذلك فى ترديده على مسمعيه .. وهكذا وجدتهم يضغطون بالتاج على رأس الشاه ، ورأيت رأسه يغوص اعمق فاعمق داخل تاجه ، فيحجب الحقائق عن ناظريه ، فيضطر الشاه للاستعاضه

عن عينيه بعينى منافق او وصولى او خنوع .. انها والحق لمأساة ، مأساة كتبها الغباء واخرجتها النرجسية ومثلتها المكابرة والغرور .

ولا خلاف انه عندما ينفض الحكماء من حول الحاكم ، أو يفض الحاكم الحكماء من حوله ، حينئذ يستسلم الحاكم والحكم معا لنفاق الحاشية وترهل البيروقراطية واجهزة التضليل والقمع . وهنا يصبح الاستهتار لا الاستدراك اسلوبا للتعامل مع الأحداث ولغة للتخاطب مع البشر . ولذلك يغدو التأرجح بين المد والجزر اسلوب الحاكم فى تعامله والأزمات ولغته فى تخاطبه والبشر ، وهكذا ترى مثل ذلك الحاكم يعمدآنا الى التطرف فى اللين وحينا الى التطرف فى العنف ، الأمر الذى كان الطابع المميز لاسلوب الشاه طوال سنتى الأزمة التى انتهت بسقوط عرشه واندثار نظامه .

ب - تهيئة مناخ الثورة :

تعاون الترف والترهل مع الغباء والاستهتار على تهيئة المناخ الملائم للثورة . وقد جاء القمع فكان افضل وسيلة لتسريع انفجار الثورة المرهوبة . في ايران التى كانت حتى عام ١٩٧٠ تستمتع بشىء من رخاء ولكن سرعان ماداهمها تضخم حاد هبط بالمستوى المعاشى للطبقتين الوسطى والفقيرة ، ولاسيما فى المدن ، هبوطا خطيرا . وكانت ايران حتى منتصف الستينات بمنجاة من التضخم وشروره .

ولكن ماكاد عقد السبعينات يبدأ حتى أخذت الاسعار ترتفع

ارتفاعا رهيبا . فزادت اسعار الحاجيات ولاسيما الضروريات منها ، من ١٠٠ بالمائة فى عام ١٩٧٠ الى ١٩٠ بالمائة فى عام ١٩٧٦ . أما أجور المساكن ، ولاسيما مساكن الطبقة الوسطى ، فأنها قفزت من ١٠٠ بالمائة الى ثلاثمائة بالمائة فى عام ١٩٧٥ .

وقد رافق ذلك انخفاض مريع فى الانتاج الزراعى الأمر الناجم عن هجرة اعداد ضخمة من الريف الى المدينة ، ولاسيما العاصمة طهران . وعندما قام خبراء الاقتصاد الايرانيون والاجانب بتحذير الشاه من عواقب سياسته الاقتصادية القائمة على التوسع فى الانفاق الحكومى ، وآثارها الوخيمة فى التضخم ، أجابهم الشاه بانه يتوجب على رجل الدولة ان لا يستجيب أبدا لنصائح رجل الاقتصاد . ولكن ماكاد صيف عام ١٩٧٦ يطل على ايران حتى بلغ الغلاء حدا كاد معه تذمر الشعوب الايرانية يتحول الى تمرد ، الأمر الذى اضطر الشاه لاعلان حرب ضروس على من سماهم بالاستغلاليين .

وقد وجهت الحكومة ضرباتها بادىء ذى بدء الى كبار التجار ورجال الاعمال ولاسيما الى اولئك الذين دعتهم « بأمراء الاقطاع الصناعى » مما دفع بكبار رجال المال والاعمال الى تهريب الأموال الى خارج ايران ، الأمر الذى عطل من فعاليات الاقتصاد الوطنى ، وضيق من ميادينه ، ودفع بالمتمولين والصناعيين الى المعسكر غير المتعاطف مع النظام . وعندما اكتشف الشاه ان حملته تلك على البرجوازية الكبيرة لم تحقق الغاية المنشودة من ورائها ، وسع فى جبهته لتشمل اصحاب المتاجر والدكاكين وصغار رجال الاعمال وفرض رقابة شديدة على

اسعار عدد كبير من السلع كالحبوب بمختلف انواعها والسكر واللحم والأرز وسواها .. واستوردت الحكومة لحسابها كميات ضخمة من المواد الغذائية ونزلت بها الى الاسواق لمنافسة التجار والباعة .. ومن ثم نهض حزب الشاه ، المعروف باسم حزب البعث ، فشكل كتائب من الطلاب ، عرفت باسم « كتائب الرقابة والتفتيش » وانطلق هؤلاء يصولون ويجولون فى الاسواق ضد المستغلين من الباعة وصغار التجار .. وأدلت ايضا السافاك (المباحث) بدلوها . فشكلت المحاكم الخاصة التى عرفت باسم « محاكم النقابات » وقد اصدرت تلك المحاكم حتى عام ١٩٧٦ مائتين وخمسين الف حكم بالغرامة المالية ، وأغلقت ثلاثة وعشرين الف دكان ومتجر . وقضت بالسجن من شهرين الى ثلاثة اعوام على ثمانية الاف بائع وتاجر .

وبذلك وحدت بين البرجوازية بطبقاتها الثلاث ، وساقت بابنائها الى المعسكر المعادى للشاه .

ولكن جميع المجهودات الحكومية لم تنجح فى القضاء على التضخم والغلاء ، الأمر الذى استجر الى صفوف المتذمرين موظفى القطاعين الخاص والعام . وقد استغل اليسار ورجالات الاحزاب والجماعات السياسية المعارضة الشكاوى من ارتفاع تكاليف المعيشة فحولوها الى معارضة سياسية استهدفت ، العرش حينا والشاه أحيانا .

وقد اضطر الشاه اخيرا ، بغية التخفيف من تنامى المعارضه ، الى اقالة صديقه ورئيس وزرائه طوال اثنتى عشر سنة ، واعنى به عباس أمير هويدا ، وتعيين وزير البترول

السابق اموزيغار رئيسا جديدا للوزراء وقد ادرك الرئيس الجديد ان القضاء على الغلاء ، بالقضاء على التضخم هو المخرج الوحيد من عنق الزجاجة .. ووجد ان السبيل الوحيد لكبح جماح التضخم هو الحد من الانفاق الحكومى . فتقدم الى الشاه طالبا منه تخفيض الاعتمادات المخصصة للقوات المسلحة وللتسلح ، لكن الشاه رفض الاستجابة الى طلب رئيس وزرائه ، الأمر الذى اضطر اموزيغار الى تخفيض الاعتمادات الخاصة بالمشاريع المدنية والخدمات تخفيضا حادا ، واسقاط مبلغ ثلاثة مليارات ونصف المليار من الدولارات من نفقات مشروع السنوات الخمس وفرض قيود شديدة على القروض وايقاف العمل فى انشاء ثمانية عشر مفاعل ذريا من اصل عشرين مفاعل ، وتأجيل بناء عدد كبير من المصانع الجديدة ، والغاء عدد آخر من العقود الحكومية مع الشركات الاجنبية ، والوطنية . فى مختلف الميادين والقطاعات .. وقد بدا ان سياسة اموزيغار الاقتصادية قد حالفها التوفيق ، وهكذا سمعت اموزيغار يعلن فى مطلع شهر يونيو من عام ١٩٧٨ عن انتهاء الأزمة . ولكن الاجراءات العنيفة التى اتخذها اموزيغار فى ميدان الاقتصاد والتى اسفرت عن كبح جماح التضخم والغلاء بعض الشئ ، اسفرت ايضا عن بدء الاجور الفعلية بالتدنى وعن تزايد نسبة العاطلين عن العمل ، حيث بلغ عددهم اربعمائة الف عامل فى طهران وضواحيها ، الأمر الذى دفع ايضا بالعمل الى صفوف المناهضين للشاه ومن ثم لنظامه ، فاذا اضفنا الى هؤلاء والى ابناء الطبقة البرجوازية الايرانية ، سكان الاكواخ والاعشاش المحيطة بطهران ، عندئذ

نستطيع القول بان الشاه قد أعد الاكثرية الساحقة من امته للثورة عليه ، ووفر للثورة المناخ المناسب ، ولم يبق سوى تهيئة فتيلها واشعاله .

ج - فتيل الثورة :

فى سعيه الى الاستئثار بالسلطة شكلا وموضوعا نسف الشاه جميع جسوره مع القوى السياسية ذات الجذور العميقة فى تربة ايران . وقد حاول ان يستعيض عن الشخصيات السياسية التقليدية والشعبية بمخلوقاته من اشباه الرجال . وبلغ به الشطط ، لا بل الغطرسة مبلغا جعله يشكل حزبا خاصا به ، ويحاول فرضه حزبا وحيدا على البلاد ، واعنى بذلك الحزب حزب البعث الايرانى . فلقد ادرك آنذاك غريزيا ، ان الاعتماد على القوات المسلحة وحدها وعلى السافاك ، ليس بكاف لتدعيم سلطانه وللحفاظ على نظامه . ولكنه لم يدرك ان الزعامة تكتسب اكتسابا وليست بوظيفة يعين فيها المرء بقانون او مرسوم .

لقد جهل الشاه بان القادة ليسوا ببضائع او سلع جاهزة يشتريها من الاسواق حينما تستوجبه الحاجة اليهم . لذلك كان الحزب الذى أنشأه الشاه عبئاً عليه وعلى نظامه . وكان يتألف من المنافقين والانتهازيين وصيادى الفرص ، ولا خلاف ان امثال هؤلاء يصلحون لاستعداء الناس واستنهاض الهمم والنوازع الخيرة للتصدى لكل قضية او شخص او نظام يرفعون رايته أوينادون بشعاراته ، اضف الى ذلك ان مطل هؤلاء على الرجال والاحداث هو مطل الضفدع من مستنقعه ، لا مطل النسر او

الصقر من عليائه . ولذلك وجد الشاه نفسه ملزما عمليا بالعودة الى مـؤسستيه الرئيسيتـين ، واعنى بهمـا القـوات المسلحـة والسافاك ، وبهـذا اصبح القمـع لا الحوار هـو وسيلة الشاه للتعامل والأزمة واسلوبه للتفاهم والأمة فشـن حملة تشهير على رجال الدين . وقد بلغت تلك الحملة درجة من العنف ، اضطرت ذلك الرجل الهادى والعالم الجليل شريعة مدارى للرد عليها .

وبادرت السافاك فأنشأت كتائب خاصة بهـا دعتها كتـائب الانتقام . وكانت مهام تلك الكتائب الاعتداء بالضرب والتشهير بالمعارضة ، وبنقابات المحامين والاطباء والمهندسين والمعلمين . وكذلك حذا حزب الشاه حذو السافاك . فجند بدوره كتائب حزبه وقد عمدت هذه ايضا الى اساليب العنف الجسدى فى التصدى للمعـارضة . لكن جميـع هذه الاجـراءات لم تنجح فى اخمـاد المعارضة كلمة وصوتا . ففى مطلع شهر مايو من عام ١٩٧٧ وجه عدد كبير من المحامين كتـابا مفتـوحا الى الشـاه يتهمونـه فيه بالضغط على القضاه والتدخل فى شؤون القضاء .. وبادر فى شهر يونيو من العام ذاته ثلاثة من كبار زعماء الجبهة الوطنية ، وهم كريم سنجابى وفوروهار وبختيار ، أقول بادر هؤلاء الى توجيه كتاب مفتوح الى الشاه كان بالغ الجرأة وخارجا على التقاليـد والبروتوكول فى مخاطبة الشاه . وقد اتهم هؤلاء الشاه بتخريب الاقتصاد واهمال الزراعة ومخالفـة القانـون الدولى ، وانتهاك حقـوق الانسان والخـروج على الدستـور ولاسيمـا المبـادىء الدستورية لعام ١٩٠٥ وقد ختم كـريم سنجابى ورفيقـاه ذلك الكتاب قائلين :

« ان السبيل الوحيد لاعادة الوحدة الوطنية وحقوق الفرد الاساسية ، يتمثل فى التخلى عن الطغيان واساليبه ، وفى احترام القوانين الدستورية وشرعة حقوق الانسان والغاء نظام الحزب الواحد ، واطلاق حرية الصحافة والمعتقلين السياسيين ، والسماح للمنفيين بالعودة الى البلاد ، واقامة حكومة تتمتع بثقة الأمة وتحترم الحقوق الاساسية للانسان » .

وقام موظفو البنك المركزى الايرانى فاتهموا مايزيد على المائة والسبعين شخصية من كبار شخصيات النظام ، بتهريب مايزيد على الفى مليون دولار الى خارج البلاد . وكان ابرز المتهمين رئيس الوزراء السابق شريف امامى والجنرال عويسى الملقب بجزار ايران ورئيس الوزراء السابق آموزيغار ومدير عام شركة البترول الايرانية ورئيس بلدية طهران ، الى غير ذلك من الشخصيات المرموقة ، اجتماعيا وسياسيا . وقد أثار اتهام هؤلاء موجات طاغية من الغضب على الشاه ورجاله ، وكان عاملا من العوامل الاساسية فى تهيئة مناخ الثورة وتزويدها بالفتيل .

د - اشعل الفتيل :

فى اليوم التاسع عشر من شهر نوفمبر من عام ١٩٧٧ كان اعضاء جمعية الثقافة الايرانية الالمانية ، يعقدون لليوم العاشر على التوالى اجتماعا فى جامعة آريا مهر فى طهران . وفى الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم داهم البوليس الجامعة وحاول ان يفض الاجتماع الذى حضره من الطلاب عدد يزيد على عشرة آلاف طالب .

وقد خرج الطلاب من الحرم الجامعى بمظاهرة صاخبة ، وكانوا يهتفون بسقوط الشاه ونظامه .

فتصدت لهم قوات الأمن وحاولت تفريقهم بالقوة ، فسقط من الطلاب قتيل واحد ، وجرح ما يقارب السبعين منهم ، واعتقلت الشرطة قرابة المائة طالب . وقد أثار هذا الحدث جميع طلاب الجامعات فى ايران ، حيث شهدت الايام العشرة التى اعقبته مظاهرات طلابية صاخبة .

وفى اليوم السابع من شهر يناير عام ١٩٧٨ نشرت جريدة « اطلاعات » مقالا عنيفا هاجمت فيه رجال الدين ووصفتهم بالرجعيين السود ، واتهمتهم بالتعاون سرا والشيوعية الدولية واستطردت تقول ان الخمينى ليس بايرانى وانه عمل فى شبابه جاسوسا فى الاستخبارات البريطانية ، وعاش حياة من فسق وفجور .

هـ - الانفجار الكبير :

التهبت ايران وانفجرت مدينة قم بالثورة وخرج اربعة الاف من طلاب المعاهد الدينية بمظاهرة صاخبة انضم اليها عدد كبير من مختلف الفئات الشعبية . وتعالت الهتافات بسقوط الشاه وبالمطالبة بتقديم كاتب المقالة فى اطلاعات الى المحكمة .. وتعالت الصيحات منادية بعودة (الخمينى) وبدستور عام ١٩٠٥ وهاجم البوليس منزل شريعة مدارى وقتلوا شخصين من المتظاهرين ، كانا قد لاذا به من الشرطة . كما انفجرت ايضا الثورة بمظاهرات دامية فى طهران واستمرت فى قم ، وشاركت

فيها مدن اصفهان ومشهد والاهواز وشيراز وتبريز . وانـطلق المتظاهرون يهـاجمون مـراكز الشـرطة ومكاتب حـزب البعث الايراني والفنادق الفاخرة ودور السينما والمصارف .

وبلغت المـظاهرات أشـد درجات العنف فى طهـران ويـازد وبابول ، الأمر الذى اضطر الشاه للعودة الى طهران من الخليج حيث كان يحضر مناورات اسطوله البحرى . ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان جميع مطالب المتظاهرين لم تكن حتى تلك السـاعـة تتجاوز المطالبة بالعودة الى دستور عام ١٩٠٥ وباطلاق سراح المعتقلين السياسيين وبعودة المنفيين . ولكن فى اليوم السابع من شهر سبتمبر من عام ١٩٧٨ اتخذت لهـا المظاهـرات منعطفـا حاسما .. اذ ان المتظاهرين اخذوا ولأول مرة ، يطالبون بسقوط النـظام البهلوى وبقيام جمهـورية اسـلامية . وقـد أثار هـذا الانعطاف الرعب الشديد فى قلب الشاه فأرغم مجلس وزرائه على اعلان الاحكام العرفية فى العاصمة طهران وفى احدى عشر مدينة اخـرى ، أهمهـا قم وتبـريـز ومشهـد ، واصفهـان وقـزوين وشيراز ... الخ . ومن ثم اصدر مرسوما يقضى بتعيين الجنرال عويسى ، الشهير بلقب سفاح ايران ، حاكما عسكريا لطهران ، وقد اكتسب الجنرال عـويسى هذا اللقب بسبب قمعـه الدموى للمظاهرات التى شهدتها ايران فى عام ١٩٦٣ . كما اصدر امرا عرفيا يمنع جميع المظاهرات ، وأتبعه بأمر آخر يقضى باعتقال سنجابى وبازركان وغيرهما من الزعماء ، وكان الشاه بعد ان لمس عناد الأمة الايرانية واصرارها على متابعة النضال ضده ، قدعين الجنرال غلام رضا آزهرى الذى شكل وزارة ضمت ستة

من جنرالات القوات المسلحة ، لكن الجماهير الايرانية لم تعبأ باجراءات الشاه ، ولم تستسلم لحكومته العسكرية .

فادرك الشاه ان استمرار سياسة القمع ستدفع اخيرا بالقوات المسلحة الى التمرد عليه والاطاحة بعرشه ، الأمر الذى تجلت ارهاصاته فى قم ، حيث انضم خمسمائة جندى واثنتا عشر دبابة الى المتظاهرين ، لذلك لم يجد أمامه من سبيل سوى التراجع ومحاولة التفاهم والمعارضين وعلى رأسهم رجال الدين والساسه كبازركان وسنجابى وفورهار . لكن هؤلاء رفضوا يد الشاه الممدودة اليهم ، اذ انهم لمسوا ان الاحداث قد تجاوزت بزخومها كل محاولة للمهادنة او التصالح او الحلول الوسطى فالقضية لم تعد اقل من المطالبة بالجمهورية الاسلامية .

و - تراجع ام هزيمة ؟

بذل الشاه اقصى جهده لاعادة الجسور بينه وبين المعارضه فاطلق سراح الف ومائة وستة وعشرين معتقلا سياسيا . وزج بصديقه ورئيس وزرائه السابق عباس امير هويدا فى السجن . وأقال الجنرال نصيرى رئيس السافاك ، وعين مكانه الجنرال مقدم ، وحل حزبه حزب البعث الايرانى .. وامر معظم افراد عائلته بمغادرة ايران . وقام بزيارة حتى مقام الامام رضا فى مدينة مشهد .

وارسل بزوجته الامبراطورة فرح ديبا الى النجف للتبرك والزيارة .. وحاول ان ينسى جماهير ايران المسلمة حفل الغداء الذى اقامه فى رمضان للرئيس الامريكى نيكسون . ونقله

التلفزيون الايرانى بوقاحة تتساوى والفجور ..

ومع ذلك كله بقى الخمينى يصيح من منفاه فى باريس قائلا لا هدنة ولا انهاء نضال قبل سقوط النظام الشاهنشاهى وقيام الجمهورية الاسلامية .. واخيرا عاد الخمينى الى طهران .. وكان ما كان من أمر بختيار .. واصبح الخمينى الشاه الجديد .. وعين مهدى بازركان رئيسا لمجلس الوزراء ، واحاط نفسه بمجلس قيادة لثورته ، وكان هذا المجلس يتألف من أبى الحسن بنى صدر وابراهيم يازدى وصادق قطب زاده وآية الله منتظرى وبهشتى وهاشمى رافسنجانى ومحمد بوهانار ، تلميذ الخمينى .

بين المصالح والاصدقاء

أ ـ القسط الأخير ؟؟

فى اليوم السادس عشر من شهر يناير عام ١٩٧٩ غادر اخيرا الشاه طهران الى القاهرة استجابة لرغبة رئيس وزرائه . وفى ذلك اليوم بالذات خرج مئات الالاف من الأيرانيين الى شوارع طهران مهللين مكبرين ومشيعين ابن بهلوى والبهلوية بالشتائم واللعنات . وفى اليوم السابع والعشرين من شهر يناير سقط ثمانية وعشرون قتيلا من المتظاهرين احتجاجا على اغلاق حكومة بختيار لمطار طهران منعا لعودة الخمينى اليها .

ولكن فى اليوم الأول من شهر فبراير من العام ذاته خرج ثلاثة ملايين انسان لأستقبال الخمينى العائد الى بلاده بعد حياة تشرد ونفى تجاوزت الستة عشر عاما . وهكذا تكرس انتصار الأمة . وتأكد سقوط النظام . وضبطت بهجة النصر ببشاشتها

صفوف المنتصرين ومواكب المبتهجين ، فالحدث كان اضخم من أن يعكر صفوه فوضوى او غوغائى أو مدسوس ، انه المنعطف الجديد وقد يكون ايضا الحاسم ، فى تاريخ ايران بلادا وشعوبا لكن التيار الذى دفع بهذه الأمواج الهازجة من البشر ، لأستقبال الخمينى ، لم يكن تيار النصر ، بل كان تيار الحرية ، فالشعوب الأيرانية ، قد سددت القسط الأخير من ثمنها ، وكان هذا القسط باهظا للغاية اذ أنه تكون من ستة عشر شهرا من قتال الشوارع وستة أشهر من مظاهرات جماهيرية حاشدة وخمسة أشهر من اضرابات عامة شملت حتى موظفى الدولة ، والالاف المؤلفة من القتلى والجرحى والمشوهين والمعتقلين والمشردين والمنفيين ، لذلك كان كل مواطن ايرانى ، ولا سيما بعد أن شاهد الشاه يتنازل عن عرشه يعتقد بأن الخمينى قد عاد معه بالحرية من منفاها أو مغتربه ، فأيران بكافة شعوبها كانت قد بدأت منذ أربع وسبعين سنة قبل عودة الخمينى من منفاه بتسديد اقساط الحرية الحديثة ، وكان ذلك فى عهد الأسرة الكاجارية ، عندما هبت الأمة الأيرانية بثورتها المشهورة ثورة عام ١٩٠٥ ـ ١٩٠٩ ، التى اسفرت عن الدستور الشهير بدستور عام ١٩٠٩ .

((ب ـ الخمينى ووعوده))

لكن الخمينى ليس بشاه ، إنه أحد المنكوبين بالشاه وبالشاهانية ، وقد عرف بمقاومته للطغاة وبزهده فى بهارج الدنيا ، وبنسكه فى المعاش ولذلك ، حينما أطل على طهران ، لم يطل اطلالة الزعيم على مواطنيه ، ولا اطلالة الحاكم على محكوميه ، بل عاد عودة الحرية إلى الأسير والعنفوان الى الكسير ، فلم يتبد حاكما أو زعيما ولا حتى اماما ، بل تجلى بمثابة القيمة والمثل فغدا وجوده فى نظر الانسان الأيرانى ، حضورا مجردا غير محسوس ، اذ أنه كان يقيم فى ضمائر الجماهير وقلوبها ، لذلك كان ذا نفوذ يكاد يكون اسطوريا ، إن لم أقل ميتافيزيقيا ، إذ كان بمثابة الحنين الى كل خير ، وهكذا وجدته حاضرا فى غيابه وساحرا فى حضوره ، ففى شخصه اندمج يومذاك الخيال فى الواقع ، والأمنية فى الحقيقة والمجرد فى المحسوس والذات فى الموضوع فالخمينى حين عودته ، كان قد أصبح من اولئك الزعماء التاريخيين النادرين الذين دخلوا عالم الأسطورة وهم لما يزالوا على قيد الحياة . فلقد غدا حينذاك

محبطا للأمل ومنطلقا للواقع ، الأمر الذى ضخم فى أحجام اشيائه ، ووسع فى اثار أقواله وأفعاله ، ولا غرو فى ذلك فالأمل عندما يصبح عينا للواقع ، يغدو الصغير كبيرا والكبير عظيما ، والعظيم خارقا لكل عرف ومألوف .

وهكذا أمسى الخمينى كلمة فوق الشك وفعلا فوق الجدل ، وبدا وعده عهدا وعهده ميثاقا موثقا باليقين ودفاقا بالأمل ، والحق أن الخمينى ، نتيجة لكفاح ايران البطولى ، ومواقفه القيادية الحازمة ، لم يلهب فقط الشعوب الأيرانية ، بل الهب ايضا الكثير من الآمال الخابية فى العالم الثالث ، كما ضرب الشرق والغرب معا بأنذهال الأعجاب ودهشة العجب ، فالعالم كاد ينسى قبل ثورة ايران . أن للأمم مثل تلك القدرات الهائلة على اقتلاع الطغاة ودك صروح الطغيان . وهكذا وجدت صور الخمينى معلقة على جدران اكواخ ومساكن ودكاكين الفقراء والمضطهدين فى قارات العالم الخمس وحتى فى جمهوريات الأتحاد السوفياتى المسلمة . .

كل ذلك ، لا بل وأكثر من ذلك كان الخمينى قبل أن يجرفه فجور السلطة فيتضح لنا أنه هو الكذبة الكبرى والوهم الكبير ، ولكن كيف تمكن الخمينى من أن يكون ما كان فى انظار ايران والعالم ؟ وكيف استطاع استهواء حتى انصار الدكتور على شريعتى ، حيث أنهم هم الذين اطلقوا عليه لقب الأمام ، هذا اللقب الذى لا يجوز ، فى المذهب الجعفرى ، اطلاقه على غير الأثنى عشر اماما ؟ وكيف تمكن من أن يجمع حوله الماركسى المتطرف من لينينى وتروتسكى وستالينى وماوى ، والفوضوى

والوجودى والعدمي والعامل ورب العمل والبائع والشارى والمثقف والجاهل والمؤمن والملحد وحتى المرأة لم يوفرها من سحره ؟

لقد قلنا فى مقالة سابقة من هذه السلسلة . أن الخمينى كان بارعا غاية البراعة فى خطته وخطاه التكتيكية فلقد اتبع فى مساره السياسى خطين متوازين كفيلين بأشاعة الثقة والطمأنينة فى صدور الجميع ماعدا اولئك المنتفعين مباشرة بالشاه ونظامه . وهؤلاء لم يكونوا يشكلون سوى أقلية ضئيلة للغاية من شعوب الأمة الأيرانية ، فلقد كان اولا ينادى بأن اتوقراطيه الشاه لن تخلفها اتوقراطيه رجال الدين التيوقراطية وأن النظام البديل لنظام الشاه سيكون نظاما ديمقراطيا وأسلاميا ، وقد صرح فى شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨ بأنه وجميع أعوانه من رجال الدين لا يطمحون إلى أية سلطة أو منصب سياسى وأن جمعية تأسيسية منتخبة انتخابا حرا هى التى ستتولى وضع دستور هذه الجمهورية الأسلامية وأن دستور هذه الجمهورية سينص صراحة على السماح بتعدد الأحزاب السياسية ، بما فى ذلك الحزب الشيوعى الملحد .

وبعد أن طمأن الخمينى القوى السياسية والأجتماعية الى أن استبداد الشاه لن يخلفه استبداد رجل الدين ولا التسلط الثيوقراطى ، ذهب الخمينى فى بذل الوعود الى حد اعلن عنده أنه سيساوى بين المرأة والرجل فى الحقوق السياسية وقد جاء ذلك فى تصريح ادلى به فى اليوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٩٧٨ . وقد بلغ الخمينى من الدهاء التكتيكى مبلغا جعله فى

جميع انشطته السياسية يتجنب تحديد موقفه من أى موضوع أو أمر من شأنه أن يثير الأنقسام فى صفوف المعارضة . ولذلك وجدته لا يتطرق إلا الى المواضيع التى تحظى بالموافقة الاجماعية لجميع الأطراف فكان يهاجم الأمتيازات التى منحها الشاه للغرب وكذلك التحالف السرى القائم بين النظام الشاهنشاهى وبين اسرائيل . ولم يوفر من هجماته اهدار الأموال الطائلة على التسلح والفساد المستشرى فى البلاط والدوائر العليا والطبقة الطفيلية من السماسرة والوسطاء وأرتفاع أسعار ضروريات الحياة وهبوط فعاليات الأقتصاد الزراعى ، وتدهور أوضاع الريف ، وأزمة السكن والبؤس المطوق طهران بأكواخ الصفيح ، والهوة المتزايدة اتساعا بين الفقراء والأغنياء والتوسع فى أجهزة البيروقراطية وخرق الدستور والخروج على القوانين وتعطيل الصحف والأحزاب . والأعتقال التعسفى والمحاكم الأستثنائية وكان الخمينى حين مهاجمته لجميع الأمور الآنفة الذكر . ينتهى الى التأكيد على أنه سيطلق الحريات السياسية وسيضمن حقوق جميع الأقليات الطائفية ، بأستثناء الطائفة البهائية ، وسينشر العدالة الأجتماعية بين الجميع : إذ أنه كان يقول أن التوحيد فى الأسلام يعنى فى واقعه ، انعدام الفوارق الطبقية بين الناس ، وقيام المجتمع اللا طبقى ولا خلاف أن جميع المواضيع الآنفة الذكر . مواضيع تجمع ولا تفرق ومتفق عليها بداهة بين مختلف طبقات الشعوب الأيرانية بأستثناء الطبقة المنتفعة بالنظام الشاهنشاهى ، كما سبق لنا القول ويجدر بنا أن نشير هنا الى أن

الخمينى وطوال فتـرة منفاه خـارج ايران لم يتـطرق ابدا الى موضوع الأصلاح الزراعى ولم يتقدم ولو بفكـرة واحدة تلقى شيئا من ضوء على موقف الدولة من رأس المال ومن العمل ولم يحدد التحديد الواضح مهام الدولة وواجباتها الأجتماعية ازاء المواطن فى حالة المرض والبطالة . وزبدة القول أن نظام الخمينى حزبا ودولة لم يعلن حتى كتابة هذه السطور مناهجه السياسية والأقتصادية والأجتماعية فهو لا يزال يدور فى متاهات العموميات والتجاريد لذا تراه يلجأ فى سياسته الداخلية والخارجية الى كل وسيلة تبقى الشعوب الأيرانية داخلا وخارجا فى حال من توتر وقلق دائمين .

((ج ـ الخمينى وأمريكا))

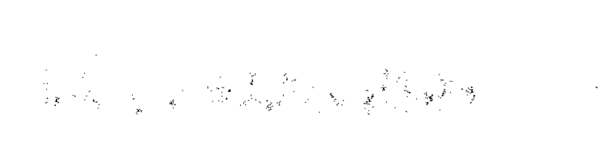
بعد شهر نوفمبر من عـام ١٩٧٨ تحولت الولايـات المتحدة الأمريكية عن مساندة الشاه وعلى الرغم من أن وزارة الخارجية الأمريكية بـدأت منذ منتصف ربيـع ذلك العام تنـذر الرئيس السـابق كارتـر بقرب سقـوط الشاه ونـظامه غـير أن كـارتـر وبرجنسكى بقيا الى ما بعد يوم الجمعة الأسود الواقع فى الثامن من سبتمبر ، راسخى القناعة بأن الشاه سيتجاوز بنجاح الأزمة التى يعانيها ، وهكذا وجدت الرئيس كارتر يرسل بعد مذبحة يوم الجمعة الأسود ببرقية الى الشاه يعلن فيها دعمه غير المشروط للشاه ولنظامه ولكن ما كـاد ينصرم شهـر سبتمبر حتى طلب الرئيس الأميركى كارتـر من السيد جـورج بول وكيـل وزارة

الخارجية السابق والمعروف بنقده للشاه أن يقدم اليه تقريرا عما يراه فى الأزمة الأيرانية وقد نصح جورج بول كارتر قائلا : بأن الشاه لن ينجو من الأزمة مالم يبادر فورا الى التخلى عن معظم سلطاته الحالية الى حكومة مدنية تستند الى قاعدة شعبية عريضة ومن ثم ارسلت الحكومة الفرنسية بكتاب الى البيت الأبيض ولم يكن كتابها ذاك يختلف فى فحواه من حيث تحليله وتقويمه لأوضاع الشاه عن تقرير جورج بول لكن كتاب الحكومة الفرنسية كان يذهب الى حد القول بأن الخمينى سيكون مستعدا للتعاون والغرب الى اقصى الحدود ، نظرا لأنه عدو بالمبدأ والفطرة للشيوعية وقد نصحت الحكومة الفرنسية الخمينى كذلك بأعلان موقفه من اليسار والشيوعية فاستجاب الخمينى لنصيحة فرنسا وانطلق وأعوانه يشنون حملة من هجوم عنيف على اليسار وأعلن الخمينى أن حزب توده الشيوعى يتعاون والشاه وأن الماركسيين يتامرون . على طعن الأسلام والغدر بالمسلمين وأتهم الأتحاد السوفياتى بأنه دولة استعمارية تركبها مطامع ما أنزل الله بها من سلطان وأنهى قوله : أنه حالما يسقط الشاه ونظامه فانه يتعهد بتزويد الغرب بكل ما يطلبه من البترول وأنه سينشىء العلاقات الودية مع الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن الطريف لا بل من المفارقات الساخرة أن الخمينى بعد أن غادر الشاه ايران وعزم على العودة من باريس الى طهران وقبل أن يستأجر طائرة لنقله الى طهران علمت المخابرات الأميركية بما اعتزمه فاتصلت بالمرحوم صادق قطب زاده (الذى اعدمه الخمينى مؤخرا) وطلبت منه أن يؤجل الخمينى سفره مدة ثلاثة

أيام لكى يتمكن الأميركان خلالها من احباط المؤامرة التى تهدف الى اسقاط طائرة الخمينى قبل أن تحط فى مطار طهران ورغبة فى التأكيدمن ضمان سلامة الخمينى اتصلت المخابرات الأميركية أيضا بشركة الخطوط الجوية الفرنسية التى كان الخمينى يفاوضها على استئجار احدى طائراتها وأنذرتها بما انذرت به صادق قطب زاده وقد استجاب الخمينى لنصيحة المخابرات الأميركية التى عادت بعد ثلاثة أيام كما وعدت لتعطيه الضوء الأخضر للأقلاع الى ايران حيث كان الجنرال هويسر الأميركى قد انتهى من تحييد أو بالأحرى منع القوات المسلحة الأيرانية من القيام بأنقلاب عسكرى لحسابها أو حساب الشاه الذى سنتحدث فى حلقة تالية عن جهوده اليائسة لأنقاذ عرشه ونظامه ولا سيما بعد أن تأكد من أن الولايات المتحدة الأميركية قد تخلت عنه صديقا وشاها ونظاما فالدول ليس لها اصدقاء دائمون بل مصالح دائمة ...





ايران بين العلمانية والاسلام

قلت ان الاسلام كان طوال الخمسينات والستينات من هذا القرن ، هدفا لاشرس هجوم تعرض له فى تاريخه ،وذلك بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها وخرج منها الاتحاد السوفيتى منتصرا ذلك الانتصار الذى كرسه دولة عظمى ، حيث تجاوز مساحة وسلطانا ونفوذا كل حلم من احلام روسيا القيصرية وكل مطمع من مطامع قياصرتها ، اقول بعد كل هذا ، غدا كل ماهو سوفيتى او روسى او ماركسى ، موضوعا للبحث وهدفا للتطلع ومحطا للفضول ..

ويعـود السبب فى ذلك الى ان ستـالين بعـد ان تغلب عـلى تروتسكى ونفاه الى خارج الاتحاد السـوفيتى ، وبعد ان وطد سلطانـه داخل الحـزب والدولة معـا ، ضـرب التـروتسكيـين والتروتسكية القائلة بالثورة الدائمة وبتصدير الثورة الى شتى اقطار العالم ، كما شل ايضـا الكومنتـرن (اتحاد الاحـزاب الشيوعية) وعطل فعالياته وفرض على الشعوب السوفيتية حياة من عزلة دولية جعلت الاتحاد السوفيتى يبدو كأنه دولة تقع فى كوكب اخر غير كوكب الارض ، لذلك عندما جـاء هتلر بحربـة ليخـرج الاتحاد السـوفيتى الى عالم الضـوء ، وليمتحنه ذلك الامتحان الرهيب بدمويته امام شعوب العالم ، ولاسيما شعوب العالم الثالث ، تركزت انظار الشعوب على الاتحاد السـوفيتى واخذت ترصده فى حالتى الكر والفر رصد الفضولى الطموح ، اذ ان كـل ماكـان يصدر انـذاك ، عن الاتحـاد السـوفيتى وعن السوفيتية وبخاصة الستالينية منها ، كان جديداً كل الجدة على شعوب العالم الثالث ولاسيما على ابناء هذه الشعوب من المثقفين وقـادة الرأى وذلك لان السوفيتيـة اى المـاركسيـة فى ميـدان التطبيق ، كانت فى نظر هؤلاء بمثابة الاحجبـة المغلفة بلغـز ، وكانت حقيقة السوفيتية العـالمية لم تنجـل بعد انجـلاءها عن الامبراطورية الروسية العضوض التى يعانيها المعسكر الشرقى اليوم .. فاذا اضفنا الى ذلك ان معظم شعوب العالم الثالث كانت حتى اواخر الاربعينات والستينات لا تزال خاضعة لاستعمـار المعسكـر الغربى الذى يـدين بايـديولوجيـة تختلف كليـا عن الايديولوجية السوفيتية .. وكانت تلك الشعوب تخوض نضـالا

داميا ضدالضرب بغية التحرر والاستقلال وكان العالم قد انقسم
يومذاك الى معسكرين غربى وشرقى وكان هذان المعسكران
يعيشان حالة رهيبة من الحرب الباردة التى كانت تهدد بتحولها
الى حرب ساخنة ، وكان المعسكر الشرقى بزعامة الاتحاد
السوفيتى يغتنم كل فرصة ليظهر لشعوب العالم الثالث بمظهر
نصير كل حركة تحرير وتحرر وكان يبدو حتى فى انظار العاقلين
حليفا ضروريا فى مرحلة تكنيكية معينة وفى انظار الاغبياء او
المضللين الحليف الاستراتيجى الوحيد ، لذلك كله وجدت
الماركسية ذروة العلمانية المادية السياسية ، الطريق ممهدة
امامها الى غزو السذج من العقول والابرياء من اصحاب القلوب
الطيبة ومن ثم جاءت اسرائيل لتزيل من امام الماركسية
السوفيتية ، ماتبقى فى طريقها من عقبات اذ ان الاتحاد
السوفيتى اصبح المورد الوحيد لاسلحة جيوش بعض الاقطار
العربية التى اقدم بعض ضباطها على عسكرة انظمتها السياسية
وعلى اعلان الثورية دستورا والاشتراكية الانتزاعية برنامجا
ومنهجا .. وبذلك توفر للعلمانية المادية ، ولممثلها الاتحاد
السوفيتى جميع الاجواء السلطوية والشعبية للهيمنة على شعوب
العالم الثالث تلك الهيمنة التى مكنت الماركسية السوفيتية من
صهر حتى الحركات القومية فى العالم الثالث فى بوتقة الاشتراكية
الانتزاعية الامر الذى يعنى فقط المحاولة الجدية الرامية الى
اقتلاع الجذور الاسلامية من تربة المنطقة وذلك لان الاسلام كان
ومازال السد المنيع امام كل نظام اجتماعى يقوم على الالحاد
وامام كل تيار وافد يرمى الى طمس الهوية العقيدية لشعوب

المنطقة ، وكل نزوع استعمارى يهدف الى السيطرة عليها ..
ويجدر بى هنا ان انوه بالدور الطليعى الذى قامت به المملكة العربية السعودية طوال تلك الحقبة الكئيبة من تاريخ المنطقة .. فلقد كانت المملكة هى الدولة الوحيدة التى رفعت التضامن الاسلامى شعارا فى السياسة الدولية والعدالة الاجتماعية بديلا للاشتراكية .. واكدت على الاسلام نقيضا للعلمانية المادية ، وتصدت بشجاعة وحزم لكل تيار وافد ووقفت صامدة امام العواصف العاتية ، فى محيط تتفجر فيه المادية ثورات هوجاء وانقلابات رعناء ..
والحق يقال ان العلمانية المادية مدعومة بوسائل الجوقة الشيوعية العالمية كادت تطغى على كل عقيدة اخرى ، او ايديولوجية غير مادية ، وهكذا شاهدت مثلا البعثية والناصرية تستأثران بالساحة فى بعض الاقطار العربية وتتعانقان والماركسية عناق الازواج او العشاق ، ورأيت حزب تودة الشيوعى الايرانى وحركة فدائيى خلق الايرانية يشكلان القوة الضاربة من قوى المعارضة الايرانية ، وذلك بعد انهيار عهد مصدق وانسحاب ايات الله المثلين باية الله الكاشانى ، من الميدان السياسى او بالاحرى مساندتهم السافرة والمستورة للشاه ونظامه الامر الذى وفر للماركسية السوفيتية والماوية وحتى التروتسكية ، ان تبيض وتصفر فى ايران ووفر لاتباع تلك الضلالات جميع الظروف لاتهام كل مسلم بالجمود والرجعية والعمالة للاستعمار ، وكذلك اتاح ايضا للشاه جميع الفرص لمتابعة سيره فى طريق قوميته العلمانية ، وهكذا وجد الاسلام

نفسه فى ايران يحارب فى جبهتين جبهة العلمانية الشاهنشاهية وجبهة العلمانية الماركسية ، لكن الدكتور على شريعتى كان فى واقع الحال يقاتل فى جبهات ثلاث ، وهى الجبهتان الانفتا الذكر ، بالاضافة الى جبهة المتزمتين والجامدين من كهنوت الطائفة الشيعية ..

ب) من يكون شريعتى هذا :

تضاربت الاراء فى تحديد هوية على شريعتى العقائدية فلقد كان البعض يقول انه افضل من رد على كارل ماركس ونقض فلسفته ، ودلل على ان فى الاسلام الاجوبة والحلول الصحيحة لجميع قضايا المجتمع ومشاكل الدولة ، وقال البعض الاخر من رجال الدين الذين اتهمهم الدكتور على شريعتى بالجمود والتزمت ، ان ماجاء به الدكتور انما هو بدع لا يقرها الاسلام ، وقد كان من ابرز معارضيه فى هذا الحقل اية الله مرتضى مطهرى تلميذ الخمينى الاثير ، وقال فريق ثالث ان على شريعتى ماركسى العقيدة ويتستر بالاسلام ، وقال الماركسيون ان على شريعتى مسلم متطرف وخطر غاية الخطورة وذلك لانه يستخدم جدلية تستند الى العلم والميتافيزيقا وذات قدرة هائلة على استهواء المثقفين والجماهير معا .. ولكن على شريعتى كان فى واقع الحال تطورا او بالاحرى تطويرا للمفاهيم الاسلامية السياسية والاجتماعية التى قال بها مهدى بازركان ، والطلقانى ومحمد ناخشاب واننى اعتقد بان السبب الرئيسى وراء تضارب الاراء حول عقيدته يعود كما ارى الى ان الدكتور على شريعتى لم يبرز

فى دروسه ولا فى محاضراته ولا فى كتبه الخط الفاصل بوضوح بين الاستراتيجية الاسلامية وبين تكتيكها اللذين يقول بهما ، فالتكتيك ، كما نعلم قد يتخذ احيانا مسارا يبدو متعارضا كل التعارض والاستراتيجية ومنحرفا كل الانحراف عن اهدافها .. وذلك لان التكتيك ينبغى ان يكون مرنا غاية المرونة ، كى يبقى قادرا على المناورة او المداورة وحتى الانكفاء بغية استخدام الظروف من طبيعية واستثنائية رياحا تنفخ فى شراع مركبه الميمم شطر اهدافه ، كما اعتقد ايضا بان تداخل الاستراتيجية فى التكتيك عند الدكتور على شريعتى يعود الى ان تنظيره اعتمد القاء المحاضرة او الدرس لا وضع الكتاب ، الامر الذى يؤدى حتما الى التمازج بين العموميات والتفاصيل كما هى الحال والفيلسوف الالمانى هيغل الذى تتألف معظم مؤلفاته من المحاضرات التى كان يلقيها على طلابه فى جامعة برلين.لكننى اعتقد ايضا بان الامام موسى الصدر كان من ابرز من طبق نظريات الدكتور على شريعتى واعتمد اساليبه حينما انشأ فى لبنان حركته الشهيرة باسم حركة المحرومين التى سرعان ما اصبحت السد المنيع امام الشيوعية والشيوعيين ..

وقد نجح الامام الصدر كل النجاح فى تجربته اذ غدا الشخصية الاولى فى الطائفة الشيعية اللبنانية ، كما يعود الفضل ايضا الى الدكتور شريعتى فى تحويل العدد العديد من المثقفين الايرانيين عن الماركسية وترسيخ جذورهم فى تربة الاسلام ، فاذا اضفنا الى كل ذلك اسلوبه البسيط فى تخاطبه وتحاوره والبسطاء من الناس ندرك مدى ماكان له من الشعبية العريضة

والشهرة بين الجماهير ..

ج) شريعتي والقومية :

عندما كان الشاه فى عام ١٩٧١ يحتفل فى بارسيبلوس ، ذلك الاحتفال الباذخ بمرور الفين وخمسمائة سنة على تأسيس المملكة الفارسية ، ذات القومية الارية كان الدكتور على شريعتى يعلن فى احدى المحاضرات التى القاها فى حسينية الارشاد بطهران ، انه ليست لايران اية قومية اخرى ماعدا القومية الاسلامية وان العودة الى الجذور الحضارية الايرانية تعنى فقط العودة الى الجذور الاسلامية فى تربة ايران حيث ورد فى كتابه الشهير بعنوان الحضارة والتقدم قوله التالى :

« ان البعض منكم يقول بانه ينبغى لنا نحن معشر الايرانيين ان نعود الى جذورنا العنصرية الارية ، اننى ارفض هذا القول جملة وتفصيلا واننى اناهض العنصرية والفاشية والعود الارتجاعى ، ان الخبراء من الجيولوجيين وعلماء التاريخ قد يعرفون بالكثير عن الساسانيين وسواهم ، وقد يكونون عارفين ايضا بحضارات اخرى اعرق قدما من حضارة الساسانيين ، لكن شعوبنا الايرانية لا تعرف باى شيء عن امور كهذه فشعوبنا لا ترى جذورها ولا تعثر عليها فى حضارات كتلك ، كما ان ذكرى ابطال وعباقرة واساطير واقامة النصب والتماثيل لمثل تلك الامبراطوريات الغابرة لا تثير ولا تستثير اية عاطفة او انفعال فى نفوس جماهيرنا التى لا تتذكر ولا ترغب فى تذكر اى شيء يعود الى الحضارات السابقة للحضارة الاسلامية لذلك نقول ، ان العودة

الى جذورنا لا تعنى اطلاقا العودة الى ايران ماقبل الاسلام بل الى جذورها الاسلامية المحضة وان ابناء هذا المجتمع الاسلامى هم بحكم فطرتهم الاسلامية مناهضون قولا وفعلا لجميع انواع الاستعمار والاستعباد ، والاستغلال والظلم الاجتماعى ، وان عظمة الاسلام تتجلى فى انه بالاضافة الى كونه دينا ، انما هو ايضا نظام اجتماعى يستهدف القضاء على الفقر وتجسيد المساواة والاخاء بين الناس واقامة مجتمع لا طبقية فيه ولا طبقات ».

د) شريعتى والماركسية :

شن الدكتور على شريعتى حملة شعواء على الماركسية والماركسيين ولعل اوضح حملاته هى تلك الواردة فى كتابه الشهير بعنوان « العودة » حيث يقول :

« عندما اتأمل فى ادبيات حزب تودة الشيوعى (الايرانى) فاننى لا اجد فيها الا عناوين كالعناوين التالية « المادية التاريخية ومعرفة عناصر المادة والمفهوم المادى للانسانية والاسس المادية للحياة والفكر ». الامر الذى يجعلنى والجماهير مصيبين حينما افهم ان كلمة الشيوعية مرادفة فى معناها لكلمة الالحاد ، ولا غرو اذا وجدنا ان انطباعات الجماهير عن الشيوعيين تقول بان هؤلاء ملحدون ، واعداء لله والوطن والدين والاخلاق والروح والقداسة والشرف والحقيقة والتقاليد ..

ويرى الدكتور على شريعتى ان العامل الاساسى المولد لديناميكية التاريخ ، ليس العامل الاقتصادى كما يعتقد

الشيوعيون ، بل انه العامل السياسى وان الامة لا تستطيع ان تكون قوة فاعلة فى التاريخ مالم تستعد هويتها الحضارية ، وقد تبدت نظرية شريعتى هذه فى فاعلية الامة فى الجدل الذى دار بينه وبين الروائى اليسارى الشهير والمارتنيكى المولد والذى عمل لفترة رئيسا لتحرير جريدة المجاهد الجزائرية ، وعالم النفس ايضا (عمر) فانون الذى قال بان شعوب العالم الثالث لن تتمكن من مقارعة الاستعمار مالم تتخلى عن اديانها ، وقد رد الدكتور على شريعتى بأن مقارعة الاستعمار الناجحة تكون وتبقى مشروطة باستعادة كل امة من امم العالم الثالث لهويتها الحضارية الامر الذي لا يمكن ان يتحقق الا بعودة الامة الى جذورها الدينية ، التى تؤكد وترسخ وحدتها كأمة وترهف حسها الجماعى ، فلقد كان الدكتور شريعتى يرى ان الترابط الضميرى لا الترابط المصلحى هو الشرط الاساسى للامة ..

ومن ثم ينتقل الدكتور شريعتى الى شن اعنف الهجمات على الاحزاب الشيوعية اذ يصفها بانها غدت مؤسسات بيروقراطية محضة ، وانها افرزت طبقة جديدة اوسع امتيازا وسلطانا من الطبقة الرأسمالية المعروفة فى الانظمة الليبرالية وبهذا يلتقى على شريعتى والزعيم الشيوعى سابقا من حيث نظرته الى المجتمع الذى انشأته الشيوعية فى دول المعسكر الشرقى واعنى بهذا الزعيم المفكر اليوغوسلافى الكبير والزعيم الشيوعى السابق ميلفين دوجلاس الذى كشف عن حقائق المجتمع فى الدولة الشيوعية وعن موازينه ونوعية عدالته الاجتماعية وذلك فى كتابه الشهير بعنوان « الطبقة الجديدة » ..

اضف الى ذلك ان الدكتور شريعتى لا يغفل عن الاشارة الى المظالم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى يعانيها ابناء مجتمعات دول المعسكر الشرقى كما لا يغفل ايضا عن استنكار الانتهازية الفاضحة التى يمارسها الاتحاد السوفيتى فى علاقاته بشاه ايران ..

وينتهى على شريعتى الى المطالبة بان يكون للمثقفين دور لا يقل اهمية عن دور رجل الدين ، شريطة ان يكون المثقفون عميقى الجذور فى تربة الدين .

تلك هى عجالة من نظرة الى ذلك المفكر الاسلامى الكبير الدكتور على شريعتى الذى كان له الفضل الاكبر فى حشد معظم المثقفين الايرانيين حول الخمينى ولا خلاف ان شريعتى لو كان لا يزال حيا فى ايران الخمينى ، لكان اليوم اما رهين السجن او القبر او المنفى ، اما اشهر مؤلفات على شريعتى فهى تاريخ الاديان « العودة » من اين نبدأ الماركسية وضلالات غربية اخرى ؟

« الانسان والاسلام » وهذه جميعا جديرة بالدرس والتأمل ..



هيكلية السلطة فى ايران ..

أ - مدخل :

يحفل دستور جمهورية ايران بمفارقات ومتناقضات واستقطابية مستأثرة ومستغلقة ومتمحورة حول شخصية واحدة هى شخصية الفقيه وذلك لان الفقيه . استنادا الى الدستور الايرانى الحالى يجمع ، فعلا وواقعا ، فى شخصه السلطات الثلاث ، التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وهو فى الوقت ذاته ، وايضا استنادا الى الدستور الايرانى ، قادر على ان يضرب عرض الحائط حتى بارادة الشعب ورغبات الأمة ، حتى ولو جاءت تلك الارادة او هذه الرغبات نتيجة لاوسع الانتخابات حرية والاستفتاءات نزاهة وحيادا ، الامر الذى يعتبر فصلا جديدا يضاف الى تاريخ الطغيان ومنهجا فريدا من نوعه من مناهج الطغاة فى ممارسة التسلط والاستبداد فى الحكم وذلك لان الفقيه وفقا للدستور الايرانى فوق ارادة الشعب ورغبة الامة ، فهو ليس ممثلا للامة بل وصى عليها ، ومطلق الصلاحية فى تصريف شؤونها وتدبر امورها فجمهورية الفقيه لاتتألف من مواطنين بل من رعايا .

ب - ولاية الفقيه او الحكومة الاسلامية :

خلال الستينات واثناء اقامة الخميني في النجف الاشرف بالعراق القى الخميني عددا عديدا من الدروس الدينية وقد جمعت هذه الدروس في كتاب يحمل عنوان « ولاية الفقيه » او الحكومة الاسلامية .. ولكن هذا الكتاب ماكاد يصدر في مطلع السبعينات حتى اثار ذعرا شديدا في اوساط المعارضين لنظام الشاه ولاسيما الشباب المثقفين منهم ، وذلك لان سلطات الشاه بدت امام السلطات التي يريدها الخميني للفقيه ، سلطات محدودة بشروط وقيود ، بينما ان سلطة الفقيه سلطة لايحدها حد ولايقيدها شرط ، وبدا نظام الشاه امام نظام الفقيه نظاما مقيدا ومسؤولا بينما تبدى نظام الفقيه طليقا من كل قيد ومتحررا من كل مسؤولية ، الامر الذي ارغم اعوان الخميني ومريديه على المسارعة الى الاشاعة بين الناس ان معظم ماورد في كتاب ولاية الفقيه مدسوس على الخميني وان السافاك « الاستخبارات الايرانية » هي التي قامت بدسه وتلفيقه ونسبه الى الخميني بغية اشاعة البلبلة بين المعارضين وتشتيت صفوفهم ، والحق ان الخميني في كتابه « ولاية الفقيه » كان صريحا للغاية في اعتباره الامة كما مهملا وذلك لان الفقيه كما يقول الخميني لايمارس سلطته بتكليف من الأمة ، بل بتكليف من الامام الغائب الامام الثاني عشر لذلك فلا يحق للأمة ان تسأله او تسائله ، ان تناقشه او تحاسبه عن اي عمل يأتيه او اجراء يتخذه ، ومن الطريف ان الخميني لايزعم لفقيهه المعصومية ، التي تقول بها البابوية ، بل يزعم له ايضا الحق الالهي في حكم

البشر فالفقيه فى نظر الخمينى معصوم من الخطأ ، وسلطة الفقيه سلطة الهيه يمارسها على الامة بتكليف من الله من خلال الامام الثانى عشر ، وهكذا نرى ان نظرية الخمينى فى الحكم وفلسفته فى سياسة الناس ، متناقضتان شكلا وجوهرا والاسلام فى مفهومه للحكم ، حيث ان الاسلام يقرر ان الامة لا تجمع على الخطأ ، الامر الذى يعنى بصراحة ان الحاكم مسؤول المسؤولية المباشرة امام الامة عن كل عمل يأتيه ، كما وانه يقرر بصراحة ايضا عدم معصومية الحاكم عن الخطأ كما وان كل انسان خاضع للرقابة والنقد والتقويم وحتى العزل او الخلع بدليل ماورد على لسان الخليفة الاول ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، حين توليه الخلافة حيث قال :

ايها الناس اننى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فاطيعونى وان اسأت فقومونى .. اطيعونى ماأطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »

ج - سلطة الفقيه :

ينص الدستور الايرانى على ان الفقيه هو القائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة الايرانية كما يحق للفقيه ايضا ، بموجب الدستور الايرانى ان يعزل رئيس الجمهورية وان يحل مجلس الشورى « النواب » وان يقيل الحكومة دون الرجوع الى الأمة ، فلقد عزل الخمينى ابا الحسن بنى صدر من منصبه كأول رئيس للجمهورية على الرغم من ان الشعوب الايرانية هى التى انتخبت بنى صدر لهذا المنصب . باكثرية تقارب خمسة

وسبعين بالمئة من اصوات الناخبين والحق ان المتأمل فى ديباجة الدستور الايرانى وفى مواده ليدرك فورا ان هذا الدستور ، قد جرى اشتراعه ، انطلاقا من الرغبة فى تحييد « اى ابطال مفعول كل سلطة ماعدا سلطة الفقيه فتأليف الوزارة يتم بالاتفاق بين رئيس الجمهورية وبين مجلس الشورى « النواب » على اشخاص الوزراء ورئيسهم ، الامر الذى يمكن الفقيه من المناورة والمداورة والحرية فى اختيار الوزارة رئيسا واعضاء ، وحتى الذهاب الى ابعد من ذلك كله ، الى حل مجلس الشورى او عزل رئيس الجمهورية . ولاشك اننا جميعا لانزال نذكر الخلاف الشديد الذى نشب بين بنى صدر وبين مجلس الشورى حول تسمية وزير الخارجية ، وكيف ان هذا المنصب بقى شاغرا الى ان تم عزل بنى صدر وانتخاب رئيس جمهورية جديد ، ولاخلاف ان قاعدة التحييد المستند اليها الدستور الايرانى ، تجعل من هذا الدستور طرفة الطرائف ، وذلك لان المسؤول دستوريا لايحكم والحاكم الفعلى غير مسؤول ، اذ ان الفقيه كما سبق لنا القول ، غير ملزم دستوريا بتقديم اى حساب عن اى عمل امام اى مرجع نظرا لانه يستمد سلطانه من الامام الغائب لا من الامة ، اما اذا قال احدهم بان هيئة المجتهدين تراقب اعمال الفقيه وترصد افعاله فاننا نقول ان هذه الهيئة لاوجود لها حاليا ، كما ان اختيارها يستند الى تجاريد ضبابية تفتح الابواب على مصارعها امام الفقيه لاختيار اعضاء تلك الهيئة حسبما يريد ويشتهى .

ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان الخمينى بالذات لم يكن

معصوما عن الخطأ ، ففى عام ١٩٤٣م حينما اصدر كتابه المعروف بعنوان « كشف الاسرار » قال انه لايجوز البتة « للمجتهدين » اسقاط الحكام حتى ولو كانوا ظلمة فاسدين ..

ولكنه فى عام ١٩٦٢م تراجع عن قوله الانف الذكر ، اذ قال ان للفقيه كامل الحق ان يحكم ومطلق الصلاحية فى تدبير شؤون الناس وهو مطالب باسقاط كل نظام فاسد وحكومة ظالمة .

وعلى كل حال فاننا سنتوسع فى بحث موضوع الفقيه وسلطاته فيما بعد .

د - مراكز القوى :

لاتوجد فى ايران اية سلطة ماعدا سلطة الفقيه ، اى الخمينى ، ولذلك نقول ان مؤسسات الدولة ، انما هى مظاهر استوجبتها تقاليد عصرناواعرافه ، فرئيس الجمهورية وحكومته ومجلس الشورى وحتى القضاء . انما يتحركون بتحرك الفقيه ويسيرون فى الطريق التى رسمها لهم ولكن هناك فى جمهورية الخمينى مراكز قوى وتيارات متضاربة وقوى متطاحنة ومن الطريف ان مراكز القوى هذه قد خلقها الخمينى بالذات ودفع بها الى التصارع رغبة فى تحييدها او تبديدها بغية الحفاظ على سلطانه الدستورى المطلق ، ففى الحزب الجمهورى الاسلامى مثلا .. ثلاثة تيارات متطاحنة ، انها اولا تيار على خومينى رئيس الجمهورية ، وهذا التيار شديد التطرف ويلتقى بتيار التكتل المعروف باسم تكتل حجتيه الذى يترأسه محمود الحلبى وينادى بتصدير الثورة الى كافة البلدان الاسلامية وهناك ثانيا تيار يعتبر

معتدلا بعض الشيء اذا ماقيس بتيار الخوميني وحجتيه واعنى بهذا التيار تيار رافسنجانى رئيس مجلس الشورى .

ويحاول رافسنجانى اليوم بموافقة الخمينى . او بالاحرى بطلب منه ، ان يستعيد ثقة فلول الليبراليين كمهدى بازرقان وكريم سنجابى وصحابى وابراهيم يازدى وغيرهم بالنظام ومن ثم تعاونهم من جديد والخمينى ، وقد جاء التعديل الوزارى الاخير بمثابة محاولة لاعداد مناخ صحى لبدء حوار غير مباشر بين فلول اولئك الليبراليين وبين الخمينى من خلال رافسنجانى .

ويبدو ان رافسنجانى قد فشل فى مهمته هذه ، الأمر الذى يفسر ، كما اعتقد ، موافقة الخمينى على اعدام صادق قطب زاده وبعض رفاقه الاخرين من المحسوبين على التيار الليبرالى .

وهناك ثالثا تيار يكاد يكون مستقلا ، ويستقطبه اية الله حسين منتظرى الذى يعتبر ولى عهد الخمينى ، وعلى الرغم من ان منتظرى يحاول دائما ان يكون القاسم المشترك بين التيارين الانفى الذكر (تيار الخومينى وتيار رافسنجانى) غير ان طاقته العقلية المحدودة وسذاجته الفطرية وعدم توازنه العاطفى وضعف شخصيته وهوائية مزاجه وارتباطه الوثيق بجناح معين من اجنحة الحرس الثورى الاسلامى ، كل ذلك يجعله أحيانا اشد تطرفا من حجتيه وفاقدا لقدرته على الاستهواء كخليفة للخمينى وكفقيه منتظر ، وكضامن لاستمرارية النظام القائم اليوم فى ايران .

وينبغى ان لا ننسى هنا ذلك الحزب الغوغائى الهزلى والمسلح بالهراوات والسلاسل والسكاكين والمكلف من قبل الخمينى

بتأديب العصاه ومداهمة بيوتهم والتنكيل بهم واخراس كل معارضة ومعارض واعنى بهذا الحزب ذلك الحزب الذى يسمى نفسه « حزب الله » ولقد كان ابراهيم يازدى وزير الخارجية ابرز من نكل بهم الحزب المذكور .. ومن الطريف انه كان للشاه المخلوع تجمع من ارذل الناس يشابه عناصر وطبائع ومهام ذلك الحزب الانف الذكر ، وكان ايضا يجادل الناس بالهراوات والسلاسل والسكاكين ، مجادلة حزب الخمينى لهم اليوم ..

هـ - الحرس الثورى الاسلامى :

لا خلاف ان الحرس الثورى الاسلامى هم اشد مراكز القوى اهمية ونفوذا ، ويكاد يكون المركز الوحيد المسموع الكلمة لدى الخمينى وجميع اجهزته من رئاسة الجمهورية حتى القضاء ولا غرو فى ذلك فالحرس الثورى الاسلامى هو العمود الفقرى للنظام القائم ، وهو سياج السلطة الحاكمة ووسيلتها الوحيدة للتعامل وايران شعوبا ومجتمعا ودولة ، وهو بالاضافة الى ذلك لابل وفوق ذلك السد المنيع فى وجه بونابرتية كبونابرتيه رضا بهلوى والد الشاه المخلوع ، ولكن الحرس الثورى الاسلامى ، وبعد ان تجاوز عدده المئتى الف وتسلح بجميع انواع الاسلحة بمختلف عياراتها ماعدا الطائرات ، قد اصبح بدوره الطريق المختصر الى الاستيلاء على السلطة ، ولذلك فان كل طامع بالسلطة يتجه نحو تجنيد الانصار من منسوبى الحرس الثورى الاسلامى ، وهكذا نرى حتى الشيوعى يتنافس وينافس سرا الخمينى على ولاء الحرس ، ونرى كل تيار من تيارات الحزب الجمهورى الاسلامى

يبذل غاية الجهد للاستئثار بالسيطرة على الحرس الثورى الاسلامى والاطمئنان الى مساندته ، ونرى حتى الاتحاد السوفياتى متعاونا وحزب توده ومستقلا عنه يتغلغل شيئا فشيئا فى صفوف الحرس ويحاول « تشويعه » اضف الى ذلك ان حتى فلول الليبراليين يحاولون بدورهم تجنيد الانصار من منسوبى الحرس ، فالحرس الثورى الاسلامى قد اصبح محطا للمطامح والمطامع معا ، وان ثمه عاملين فقط هما اللذان يحافظان اليوم على وحدة الصف فى الحرس الثورى الاسلامى ، واعنى بهما الحرب العراقية الايرانية والجيش الايرانى الذى يتربص الدوائر بالنظام القائم وبالحرس معا ، الأمر الذى يجعلنى اعتقد اعتقادا يكاد يقارب اليقين ، بان النظام القائم ، نظام الخمينى حريص كل الحرص على متابعة حربه ضد العراق اذ ان الحرب الحالية تشغل اولا الجيش عنه وعن نظامه .

وتبقى ثانيا انظار الحرس الثورى الاسلامى موجهه الى خارج حدود ايران ،وتشعره بانه خص برسالة تصدير الثورة ، الامر الذى يؤجل انفجار المتناقضات الايدلوجية داخل صفوفه ، وتوفر ثالثا للخمينى المبررات لما تعانيه اليوم الشعوب الايرانية من ضائقات معاشيه وازمات اقتصادية وتشنجات اجتماعية وتوترات سياسية ، لذلك اعتقد ان عودة ايران الى الحياة الطبيعية ، ستكون بداية تدهور النظام القائم وسقوطه ، وقد يكون الحرس الثورى الاسلامى طليعة المتمردين على الخمينى ونظامه ..

ومع ان الخمينى قد انشأ ايضا ما يعرف باللجان الشعبية

المسلحة (الكوميتات) بغية تحييد الحرس الاسلامى كقوة فعل حاسمه ، غير ان الخمينى واتباعه من رجال الدين يدركون تماما ان الكوميتات المذكورة اضعف بكثير من ان تصمد امام الحرس او ان تتصدى له اذا ما تمرد على النظام او انقلب عليه ، لذلك اعتقد بان مقولة تصدير الثورة التى ينادى بها الحزب الجمهورى الاسلامى بمختلف تياراته ، امر حيوى غاية الحيوية لبقاء الخمينى ونظامه .

فامواج الثورة الايرانية اذا لم تتجاوز الحدود الايرانية ، فعندئذ سترتد الى الداخل لتهدم النظام الذى اوجدته اساسا وهيكلا ، وسيلقى الخمينى مصير روبسبير وتروتسكى واتباعهما .

الخمينى استخدم مراجع التقليد

١ - المؤسسة الدينية :

لقد سبق لنا القول ان كل صراع داخلى شهدته ايران وسواء اتخذ شكل المظاهرة السياسية او الانتفاضة الشعبية او الثورة الاهلية ، فانما كان وحتى قبل وثوب رضا بهلوى على العـرش وتربعه على اريكة السلطة صراعا بين العرش وبـين المسجد ، ونزاعا بين الثكنه العسكرية من جهة وبين الحسينية والحوزة العلمية من جهة اخرى ، وذلك لأن العرش كما قلنا من قبل قد استعاض عن ولاء الشعوب الايرانية بولاء قواته المسلحة الأمر الذى وفر للمؤسسة الدينية فى ايران افضل الظروف لتصبـح المحور الاساسى لابل الوحيد ، الذى تدور عليه الأمة الايرانية بجماهيرها العـريضـة وفى جميـع انشـطتها الاجتمـاعيـة والسياسية .

فالمؤسسة الدينية الايرانية كانت وما زالت المنبـع والناظم والموجه لزخومية كل حركة ذات اثر فى المجتمع الايرانى وشأن فى

الحياة السياسية فلهذه المؤسسة نظام هرمى ثابت وتقاليد موروثه وتاريخ عريق فى العمل السياسى ويبدأ بنشوب النزاع المسلح بين الامام على رضى الله عنه وبين معاوية . كما وان لها نظاما من ضبط وربط صارمين . ولها ايضا مراتبها ورتبها المماثلة تماما لمراتب ورتب اكليروس ، الكنيستين الكاثوليكية والبروتستنتية ، فهناك مثلا الملا وحجة الاسلام واية الله ومن ثم اية الله العظمى والامام ، وهنا الشماس والقس ، او الكاهن ، والمطران والبطريرك والكردنيال والبابا . اضف الى ذلك ان هذه المؤسسة تفرض على كل فرد من اتباع طائفتها ان يدفع الخمس من دخله الى الأمام او من ينيبه عنه ، الأمر الذى يجعل منها مؤسسة ادارة وحكم ، علما بانه ليس فى الاسلام ثمة اكليروس وليس فيه لمثل هذه المؤسسة اية كينونة شرعية مستقلة والحق اننا اذا تأملنا فى المؤسسة الدينية الشيعية الايرانية ، وفيما لها من تنظيم ومراتب وسلطات ، ندرك ان عوامل السياسة اكثر من عوامل الاجتهاد فى الدين ، هى التى اوجدتها كيانا ونظاما . ولذلك فانها هيكلا ونظاما تستهدف صراحة الاستيلاء على السلطة السياسية . اضف الى ذلك ان هذه المؤسسة تدير فى ايران ما يتجاوز الستين الف مسجد وحسينية وحوزه علمية ، اى ان لها مايزيد على الستين الف فرع منتشرة فى طول البلاد وعرضها ، ومربوط بعضها ببعض باوثق الروابط وينبغى الا ننسى هنا ان النظام الايرانى قد سبق له ان اعترف دستوريا بسلطة المؤسسة الدينية . فالدستور الايرانى الصادر فى عام ١٩٠٥ والذى الغاه الشاه رضا بهلوى ، ينص صراحة على ان

كل قانون صادر عن مجلس النواب ، لايصبح نافذ المفعول الا بعد اقراره من لجنة تتألف من خمسة من المجتهدين . ولذلك فان لهذه المؤسسة بحكم الطبيعة والظروف والتاريخ معا كينونة مستقلة ، وقدرة هائلة لابل كاسحة على تعبئة الجماهير وتوجيهها الوجهة السياسية التى تتوخاها . ولكن نقطة الضعف الوحيدة فى هذه المؤسسة تتمثل فى تعدد رؤوسها المسمين بمراجع التقليد وكان النظام السياسى فى ايران يهدف فى كل عمل ياتيه الى اشاعة الخلاف بين رؤوس – المؤسسة هؤلاء .

فالنظام كان يدرك ان وحدة كلمة مراجع التقليد تعنى وحدة كلمة الشعوب الايرانية لذلك كان يدرك ايضا انه اذا توحدت كلمة المراجع فعندئذ لن يستطيع النظام السياسى ان يصمد طويلا امامهم اذا اعترض سبيلهم الى مايريدون ، الأمر الذى لم يدركه الشاه المخلوع ، وذلك لان نرجسيته الطاغية قد اعمته عن رؤية كل حقيقة من حقائق واقع الامة الايرانية ، وكانت العامل الاساسى فى توحيد صفوف المؤسسة الدينية ، وبذلك حكم الشاه بنفسه على نفسه بالسقوط وعلى نظامه بالاندثار ، فهو الذى مهد الطريق امام الخمينى زعيم المتطرفين للسيطرة على المؤسسة الدينية ومن ثم على ايران باكملها .

والحق انه حالما الت السلطة الى الخمينى سارع الى الحد من نفوذ ، لابل محاولة تصفية مراجع التقليد هذه . وكانت ابرز محاولاته اتهام اية الله كاظم شريعه مدارى بالاشتراك مع المرحوم صادق قطب الذى اعدمه الخمينى مؤخرا بتهمة التآمر على جمهوريته ولا خلاف ان كاظم شريعة مدارى يعتبر اكبر

مرجع تقليد فى ايران . وهو بالاضافة الى كونه الزعيم الروحى غير المنازع لاذربيجان ، فان له عددا غفيرا من المريدين من ابناء الشعوب الايرانية الاخرى .

ب - المؤسسة الدينية والسياسة :

كانت المؤسسة الدينية حتى عام ١٩٧٧ منقسمة الى ثلاثة اجنحة . وكان اكبر هذه الاجنحة واضخمها عددا ذلك الجناح الذى يرأسه اية الله الخوئى النجفى واية الله احمد الخرسانى وكذلك اية الله المرعستى النجفى . وكان هوءلاء جميعا يقولون بضرورة ابتعاد رجال الدين عن السياسة وبتركيز جميع الانشطة الدينية على شئون الدين فقط وبالاهتمام بقضايا الاخلاق ، ومحاربة التسيب واغلاق دور اللهو من نواد ليلية وصالات ميسر وسواها .

ولم تكن مطالب هذا الجناح من السلطة تتجاوز القضايا المشار اليها انفا .ولكن خلال الفترة الواقعة بين عامى ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ وبعد ان ضجت جماهير طهران وغيرها من المدن الايرانية الكبرى من الغلاء الفاحش والارتفاع الجنونى فى اسعار المواد الضرورية وبعد ان اضطرت الحكومة الى اتخاذ اجراءات قمعية شديدة ضد اصحاب المتاجر ، حيث سجنت مايزيد على خمسة وعشرين الفا منهم ، وبعد ان تجاوزت الحكومة بأجراءاتها القمعية التجار وأصحاب الحوانيت الى المساس مباشرة بمصالح المؤسسة الدينية ، وبعد ان التهب « البازار » اى السوق غضبا على الشاه وحكومته وللبازار كما نعلم اوسع الاثر والنفوذ فى

السياسة فى ايران ، بعد كل هذه الوقائع ، انضم هذا الجناح من المؤسسة الدينية ، والذى لم يسبق له العمل من قبل فى السياسة ، الى الجناح المتطرف من المؤسسة الذى كان يرأسه الخمينى .

٢ - الجناح الثانى

اما الجناح الثانى من المؤسسة فكان يمثل المعتدلين فى السياسة وكان من ابرز قادته اية الله شريعة مدارى ومحمد رضا غوليا يقانى ومحمد هادى ميلانى واخيرا اية الله زنجانى . وكان هذا الجناح حريصا كل الحرص على الابقاء على قنوات اتصال بينه وبين الشاه . وكان يعارض منح المرأة حق الانتخاب وكذلك قانون الاصلاح الزراعى ويسعى جاهدا للحفاظ على مصالح المؤسسة الدينية وكان يطالب بنظام ملكى دستورى وبالعودة الى العمل بدستور عام ١٩٠٥ والذى ينص على ان تكون هناك لجنة مؤلفة من خمسة مجتهدين اوفقهاء ويكون لها القول الفصل فى اقرار كل قانون يصدر عن مجلس النواب . وقد سبق لهذا الجناح ان ساند حركة مصدق وتعاون مع الجبهة الوطنية الايرانية وجبهة تحرير ايران لكنه كان دائما وابدا يحافظ على استقلاله وذاتيته .

وزبدة القول ان هذا الجناح من المؤسسة الدينية لم يكن جناحا ثوريا يهدف الى اسقاط النظام الشاهنشاهى واستبداله بأى نظام آخر بل كان بطبيعته تيارا اصلاحيا سياسيا لكنه

شديد المحافظة اجتماعيا . وكان من مطالبه الرئيسية العودة الى العمل بدستور عام ١٩٠٥ لكن اجراءات الشاه القمعية ضد البازار (السوق) بالاضافة الى قيام الشاه بانشاء حزبه المعروف باسم حزب البعث الايرانى ورعونة هذا الحزب فى سلوكه السياسى ، وإثارة الذعر بين صفوف هذا الجناح الدينى المعتدل ، جعل المعتدلين الممثلين بشريعة مدارى ومحمد رضا غولبيا يقانى ، يرون فى حزب البعث الايرانى عزم الشاه وتصميمه على تصفية المؤسسة الدينية كيانا ونفوذا كل ذلك دفع بهذا الجناح المعتدل الى الانضواء تحت راية الخمينى والى اندماج معظم قواعده فى قواعد المتطرفين .

٣ - الجناح الثالث :

اما هذا الجناح من المؤسسة فهو الجناح المتطرف الذى يرأسه الخمينى وبعض تلامذته البارزين كمحمد بهشتى ومرتضى مطهرى وهاشمى رافسنجانى واخيرا على خامينى رئيس الجمهورية الايرانية الحالى ولم يكن هذا الجناح يتوخى الاصلاح ولم يكن يطالب بالعودة الى دستور عام ١٩٠٥ فلقد كان ثوريا بكل ما للثورة من معنى ومفهوم فلقد كان يريد انشاء نظام جديد كل الجده ، يكون فيه لرجال الدين السلطة المطلقة . ويتمثل فى حكومة اسلامية وكان يقول ايضا بانه يتوجب على هذا النظام الا يطمئن الى الليبراليين فهو يرى ان الليبراليين قد خدعوا وخانوا المؤسسة الدينية بشخص مصدق لذلك على

القائمين على هذا النظام الا يكلفوا الليبراليين بغير المهام الثانوية ولكن ينبغى الا يشعر الليبراليون بحقيقة نوايا رجال الدين تجاههم .

ويجدر بنا ان نذكر هنا ان اية الله محمد بهشتى كان يتمتع بعقلية سياسية مرنه للغاية . وكان منفتحا على مختلف التيارات ، بمن فيهم الشاه بالذات وكان حتى قبيل سقوط الشاه يشغل منصب امام مسجد بمدينة هامبورج الالمانية .. وكانت الحكومة الايرانية هى التى تتولى الانفاق على المسجد المذكور . كما كان بهشتى يؤلف الكتب المدرسية لحساب وزارة المعارف ، وعلى الرغم من ذلك كله فانه بقى متمتعا بثقة الخمينى المطلقة . اما هاشمى رافسنجانى فلقد تميز بقدرته الفائقة على التنظيم ولاسيما تنظيم الشبكة السرية التى كان يشرف عليها « خمينى » بالذات واخيرا فان اية الله مرتضى مطهرى كان يتميز بعقلية فلسفية وببراعة فائقة فى التنظير . وقد بقى حتى ساعة اغتياله يشغل منصب استاذ العلوم الدينية فى جامعة طهران .

كما سبق له ان كان ايضا وفى عهد الشاه ، المشرف العام على الحسينية الشهيرة حسينية الارشاد .

ج - تكتيك الخمينى :

على الرغم من ان الخمينى كان واضحا غاية الوضوح فى بعض اهدافه الاستراتيجية ولاسيما اسقاط الشاه ونظامه . وكان صلبا فى تمسكه باهدافه المعلنة وعنيدا حتى المكابرة فى

الدفاع عنها غير انه كان يتمتع بمرونة عجيبة وبراعة فائقة فى تكتيكه فلقد كان يتعاون مثلا مع كل فئة اوهيئة او حزب يلتقى معه على اسقاط الشاه . ولم يكن يهتم بايدولوجية ذلك الحزب وسواء كان شيوعيا ملحدا ام ليبراليا ماديا ام حتى فوضويا وكان يشعر جميع من يتعاون معهم بانه منهم ولهم وانه لن ينصر ولا ينصر اية فئة على اخرى وان هدفه الاوحد هووحدة الكلمة ووحدة الصف معا ولذلك وقف على الحياد عندما قام الدكتور على شريعتى بالهجوم على بعض رجال الدين فى المحاضرات التى كان يلقيها فى حسينية الارشاد الامر الذى دفع بتلميذه الاثير مرتضى مطهرى الى الاستنجاد به كى ينصره على الدكتور شريعتى ولكن الخمينى الذى كان يدرك ماللدكتور على شريعتى من تأثير ونفوذ فى دوائر المثقفين ولاسيما الشباب منهم رفض الاستجابة الى شكوى مطهرى وبقى صامتا ، مما اضطر مطهرى الى الاستقالة من منصبه كمشرف ومدير للحسينية المذكوره ، وذلك احتجاجا على موقف الخمينى منه .

اضف الى ذلك انه عندما صدر كتابه الشهير ولاية الفقية ، او الحكومة الاسلامية واثار ثائرة معظم المعارضين لنظام الشاه بسبب ماطالب به الخمينى للفقيه من سلطات مطلقة سارع الخمينى الى الايعاز الى انصاره بان يذيعوا ويشيعوا بأن السافاك (ألاستخبارات الايرانية) هى التى قامت بدس الكثير من السموم فى متن كتابه المذكور .

والحق ان الخمينى كان فى تكتيكه يرفض دائما ان يترك لاى حدث او جماعة او انسان ان يستجره الى موقف لم يعزم مسبقا

على اتخاذه او ان يجعله يبدو متحزبا لاية حركة او جناح او جماعة ولقد اتعظ بردود الافعال التى خلفها كتابه ولاية الفقية تلك الردود التى كادت ان تفرط عقد المعارضة وتشيع الانقسام فى صفوفهم لذلك اخذ منذ عام ١٩٧١ يركز كل نشاطاته الدعائية والتنظيمية على هدف واحد ووحيد الا وهو اسقاط الشاه ونظامه الامر الذى مكنه اخيرا من احتواء جميع المعارضين العلمانيين فلسفة وحتى الماركسيين منهجا وكذلك اتباع مصدق بجميع فروعهم ومشتقاتهم ولكن مرونته هذه فى التكتيك سرعان ماكانت تتحول الى تصلب وعناد شديدين اذا لمس ان ثمة حركة او جناحا او حزبا او انسانا من اعوانه او مخالفيه يطمع فى ان يحل محله كقائد سياسى وزعيم روحى . ذلك لان الخمينى كان عازما العزم الاكيد على الاينتهى الى ما انتهى اليه اية الله الكاشانى على يدى

مصدق لذلك رفض عرض ضباط الجيش الايرانى عندما اوفدوا ممثلا لهم الى باريس ليعرض على الخمينى القيام بانقلاب عسكرى على الشاه شريطة ان يحظوا بتأييده العلنى لهم . فلقد اجابهم الخمينى بانه لن يسمح لغير الامة الايرانية باسقاط الشاه ، وان على الجيش الايرانى ان يعرف حق المعرفة بانه حتى ولو انقلب على الشاه او اسقطه فانه سيتابع الصراع ضد الجيش لان الجيش كما قال الخمينى لهم ، اذا تسلم السلطة فلن يتنازل عنها الا بعد صراع دموى طويل بينه وبين جماهير الشعوب الايرانية .

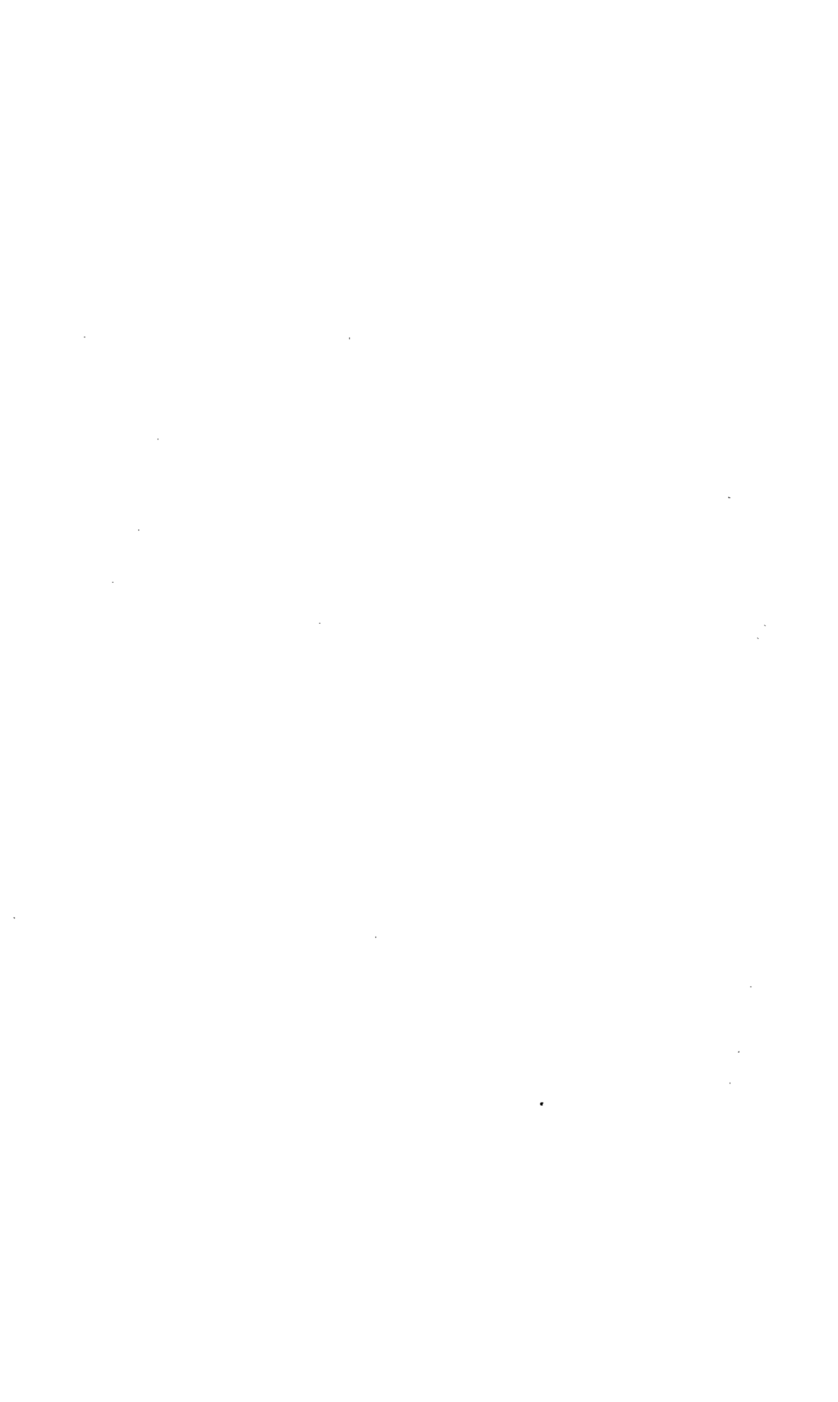
لقد كان ومازال الخمينى عازما على الايسمح لغير المؤسسة الدينية بتولى مقاليد السلطة فى البلاد وعلى العباد وكان الخمينى

صريحا للغاية فى الاعلان عن عزمه الإنف الذكر فى الخطاب الذى وجهه الى رجال الدين فى ٢١ يونيو من عام ١٩٨٢ حيث قال ما ترجمته بالحرف الواحد .

« اننا حينما نتأكد من ان ثمة مجموعة من الناس ، ومن غير رجال الدين سيحكمون وفقا للشريعة و عندئذ سيعود الخمينى وكذلك البارزون من رجال الدين الى بيوتهم وسيتخلون عن السلطة لمثل تلك المجموعة ولكن طالما لايزال يراودنا الشك فى وجود مثل اولئك الناس ، فاننا سنبقى متمسكين بمقاليد السلطة ولن نأبه بما يقولونه او يتقولونه ولن نعبأ بوصفهم لنا باننا دولة الملا ، فهم يريدون ان يرغمونا على التخلى لهم عن السلطة ليحكموا بغير ما يتفق وشرف الاسلام .

والحق ان مثل ذلك الكلام الصريح فى معناه واهدافه ، ماكان ليصدر عن الخمينى قبل عودته ظافرا .. الى طهران وانفراده وحزبه بمقاليد السلطة فى ايران . فلقد كان الخمينى بارعا وموفقا كل التوفيق فى اخفاء نواياه الحقيقية عن حليف فى غاية القوة والنفوذ ، الا وهو الدكتور على شريعتى الذى لايزال يتمتع حتى هذا اليوم ، وبعد مرور اربع سنوات على وفاته ،باحترام الشبيبه الايرانية والمثقفين الايرانيين على اختلاف مشاربهم كما كان الخمينى ايضا ناجحا كل النجاح فى اللعب على سذاجة المعارضة المسلحة كالمجاهدين المسلمين الماركسيين والفدائيين ومجموعة « ابو ذر الغفارى » ومجموعة الشيعة الاصلية والمنظمة الشيوعية الثورية الايرانية ، الى غير ذلك من امثال هذه التنظيمات التى انضوت تحت لوائه وشاركت المشاركة

الفعلية فى اسقاط الشاه ونظامه ، اما اليوم فاننا نرى جميع تلك التنظيمات باستثناء الشيوعيين ، ولاسيما حزب توده تستأنف صراعها المسلح ضد الخمينى ونظامه .



الفصل الاخير

أ ـ مدخل :

لم يعرف الخمينى انه ليس المهم ان يسقط النظام ، لكن المهم غاية الاهمية ان لاينتهى بايران ، بعد سقوط الشاه ، الى فراغ تتخبط فيه الشعوب الايرانية فى ظلمات الحيرة ، فلاتعرف اين تسير ولا الى اين تقصد ، فتمسى بذلك فريسة لديناميكية احداث تستجر وتجر السلطة الثورية الى مجتلدات العنف وسراديب التوجس والقلق .. الامر الذى يستنزف طاقات الامة ويهدر زخومها ويشل حيويتها ، فالثورة ليست غاية فى ذاتها ، وينبغى ، وفى مطلق الاحوال الا تصبح غاية فى ذاتها ، انها فقط وسيلة الى هدف يتمثل فى اتاحة الفرص لتطور الامة الروحى والمادى الى الافضل لذلك فليست ثمة مثل عليا ثورية ولاقيم ثورية ، فالثورة فعل نفى لما هو كائن وليس فعل تأكيد على ماينبغى ان يكون ، ولاحتى فعل انطلاق نحو مايجب ان يكون ، انها فعل تهيئة لانطلاق ، انها عملية جراحية كبرى تجريها الامة على مجتمعها ، لذلك فان الصحة صحة المجتمع وعافيته هما الهدف ، وليست

العملية الجراحية ، ولقد دفعنى الى كتابة ماوردته آنفا كون بعض الضالين او المضللين من المتعسكرين فى العالم الثالث ، اشد تروتسكيه من تروتسكى بالذات ، وذلك من حيث ايمانهم بالثورة الدائمة الامر الذى يعنى الخروج على قوانين التطور والشذوذ عن سياق التاريخ ومجراه .

ويتوجب على المرء ان يعرف حق المعرفة بأنه ليس من المهم ان تستولى على السلطة ، بل انما المهم غاية الاهمية ان تعرف كيف ولماذا تستخدم السلطة ، ولقد اتضح ان الخمينى وزمرته لايعرفون حتى كتابة هذه السطور ، ماذا يفعلون بالسلطة وكيف يستخدمونها ، ولاخلاف ان السبب فى ذلك يعود اولا واخيرا الى ان الخمينى وعصبته قد استولوا على السلطة قبل ان يتوفر لهم اى منهاج او برنامج يمكن ان يكون لهم دليل عمل فى ممارسة السلطة الممارسة العاقلة المعقولة والهادفة الى الارتفاع بالشعوب الايرانية الى مستوى من الحياة ارفع من المستوى الذى بلغته الامة الايرانية فى عهد الشاه .

والحق ان افتقار السلطة الثورية بخاصة الى دليل عمل ، يجعلها قوة خطرة غاية الخطورة ، فى داخل بلادها وخارجها ، وذلك لانها تحاول ان تستر فقرها ، او بالاحرى جهالتها بقناع من العنجهية والغرور ، وان تفض مشاكلها بالقمع والزجر ، فليس كالغطرسة من ستار للجهالة ولا كالعنف من سلاح لها ، وليس ثمة عامل يبعث على اشد انواع الغثيان مرارة وقرفا كاستعلاء الجهالة التى حينما تستعلى تبلغ اقذر درك من دونية الجهل .

ولكن هل كان الخميني يفتقر الى الاعوان من الجهابذة فى ثقافة العصر ، والمتبحرين فى سياسات وسيكولوجيات الشعوب وتواريخها ؟ فماخرج علينا به الخميني فى كتبه ولاسيما فى كتابه ولاية الفقيه او الحكومة الاسلامية ، وحتى فى كتابه كشف الاسرار ، انما يمثل عموميات ضبابية وتجاريد ميتافيزيقية ، وآراء بلغت من السخف والهزل درجة لاتبعث فقط على الرثاء للأمة الايرانية ؛ بل وايضا على التفجع على ما آلت اليه ايران من مصير .

والحق ان الخميني لم يكن يفتقر الى تلك العناصر البشرية التى حصلت على اعلى الدرجات العلمية واكتسبت من الحياة النضالية بمرير تجاريبها ، المعارف الواسعة فى النظرية ، والخبرات العميقة فى التطبيق ، لكن الخميني كان يفتقر الى الغيرية فى القيادة والتوجيه ، والى الخيرية فى الفطرة والسلوك ، وعلى الرغم من اننى راسخ القناعة من انه لم يكن ثمة انسان ينافس الخميني او يطمع فى منافسته مستقبلا ، غير ان افتقاره الى خيرية الفطرة جعله انويا ، ولا اقول انانيا ، يعتقد انه بلغ اعلى مراتب الحكمة واصبح مطلعا على الحقائق النهائية فى الكون .

والحق انه لم يسبق ابدا لاى زعيم ثورة فى التاريخ الحديث ان اجتمع حوله ذلك العدد الضخم من المثقفين والمتعلمين والطلاب ما اجتمع حول الخميني منهم . واننى لا اتجنى على الحقيقة اذ اقول ان الخميني اصبح فى عام ١٩٧٧م الزعيم الاوحد لا للمثقفين والطلاب فقط ، بل وايضا للبيروقراطيين والتكنوقراط ، فالى من

يعود الفضل فى تجنيد الانتلجنسيا التى تردد اليوم بيت الشعر القائل :

« رب يوم بكيت منه فلما صرت فى غيره بكيت عليه »

ب ـ الانتلجنسيا المسلمة :

لاخلاف ان الدكتور مهدى بازرجان والدكتور صحابى ، استاذ الجيولوجيا سابقا فى جامعة طهران ، هما الابوان الروحيان للانتلجنسيا الايرانية المسلمة ، وهذان العالمان المسلمان ولاسيما الدكتور مهدى بازرجان هما اللذان كان لهما الفضل الاكبر فى ربط المثقفين بالخمينى وفى دفع الطلاب الايرانيين الى الانتظام فى جمعيات عرفت باسم جمعيات الطلاب المسلمين التى انتشرت فى القارتين الاوروبية والامريكية ، وكانت لها صحفها ونشراتها ونواديها .. وتعهدت شبابا بلغوا اعلى مستوى من ثقافة العصر كالدكتور على شريعتى ومحمد ناخشاب وحسن نزيه ومصطفى تشمران وعزت الله صحابى والدكتور عباس شيبانى وصادق قطب زاده .

ويجدر بنا الا نغفل هنا ذكر تلك الشخصية الديناميكية التى لمعت كانها الشهاب .. ثم اختفت فى ظروف غامضة .. واعنى بها الامام موسى الصدر ، الزعيم الروحى لطائفة الشيعة فى لبنان ، والذى كان السند الاول للمعارضة الايرانية ، فى الخارج وسفيرها الى الدول العربية والاسلامية والاجنبية .

لقد قلت سابقأ ان الخمينى كان بارعا غاية البراعة فى التكتيك وانه درج طوال حياته فى المنفى على الانطلاق فى حواره من النقاط

المتفق عليها بداهة ، والبقاء داخل هذه النقاط ، وعدم التعرض بحثا او نقاشا او عرضا لاية نقاط قد تبعث على الانشقاق او الجدل ، ولكن الخمينى مع كل ذلك ، لم يكن ليتسامح مع اى فكرة او انسان قد ينافس او يشكل خطرا على زعامته الاوحدية لايران الثورة الامر الذى يثير فى ذهنى اشد الشبهات اقول الشبهات لا الاتهامات ، فى اسباب وفاة الدكتور على شريعتى ومن ثم محمد ناخشاب فالامام موسى الصدر واخيرا مصطفى تشمران .

ج - **شبهات وشبهات** :

لم يكن خافيا على احد ان الدكتور على شريعتى ومن ثم محمد ناخشاب فالامام موسى الصدر واخيرا مصطفى تشمران ، كانوا يمثلون قيادة تيار يتفق وتيار المؤسسة الدينية الايرانية التى استولى عليها الخمينى يتفق معها فقط على اسقاط الشاه ، ويختلف معها على كل مبدأ اخر وسواء كان ذلك فى ميادين السياسة او الاقتصاد او الاجتماع ، وكان هذا التيار كما يعرف البعض ؛ اشد ترابطا وارتباطا بالتيار الليبرالى منه بتيار المؤسسة الدينية ، فالامام موسى الصدر مثلا كان من حيث يدرى او لايدرى ، متأثرا بالدكتور على شريعتى اكثر من تأثره بصهره وابن عمه وذلك لان النظرية الاجتماعية التى قال بها كانت نظرية قريبة للغاية من نظرية الدكتور على شريعتى ، بدليل ان حركة المحرومين التى اسسها الامام موسى الصدر فى لبنان كانت ثورية الاسلوب والجوهر معا ، ناهيك بالكراهية الشديدة التى كان

يكنها محمد بهشتي ومنتظرى الاب للامام موسى الصدر .

ومن الغريب ان موسى الصدر والدكتور على شريعتي ومحمد ناخشاب قد اخفاهم الموت عن مسرح الحياة عشية الثورة الايرانية ، اضف الى ذلك انه قد ثبت الان بما لايقبل الشك ان النظام الايراني الحالي هو الذى قام باغتيال مصطفى تشمران فى الجبهة العراقية الايرانية زاعما بان تشمران قد سقط برصاص الجند العراقى ، وقد جاء مقتل تشمران بعد وفاة الدكتور على شريعتي ومحمد ناخشاب والامام موسى الصدر ، بمثابة القضاء نهائيا على كل حركة مقاومة جدية لنظام الخميني ، فلم يكن فى واقع الحال تيار ابى الحسن بنى صدر ولامسعود رجوى ، هو الذى يشكل خطرا مباشرا على زعامة الخميني وعلى نفوذ زمرته بل كل تيار الدكتور على شريعتي ومحمد ناخشاب والامام موسى الصدر ثم مصطفى تشمران الذى كانت خلاياه منتشرة فى جسم القوات الايرانية المسلحة .

ولذلك فان ظروف وفاة اولئك وملابساتها تحيط قادة النظام الحالي فى ايران ودولة عظمى بشبهات شديدة تجنح بى احيانا الى الاتهام ، فالدكتور على شريعتي كان بمثابة القوى الضاربة لاية معارضة تعزم على الانقضاض على الخميني حينما تؤول السلطة اليه . ولقد كان من مصلحة الشاه لافقط الابقاء على الدكتور على شريعتي بل المحافظة عليه ايضا ..

اذ انه كان القوة الوحيدة المؤهلة لشق صف المعارضة الى دينية وليبرالية ، الامر الذى بدت ارهاصاته فى الخلاف الشديد الذى نشب بين الدكتور على شريعتي وآية الله مرتضى مطهرى

تلميذ الخمينى الاثير ، وذلك بسبب الهجوم الذى شنه الدكتور شريعتى على جهود رجال الدين وتزمتهم .. فهل يجوز لشبهاتى اذا تساءلت عمن يكون المستفيد من وفاة اولئك فى ظروف غير طبيعية ، اقول هل يجوز لها ان تتحول الى اتهام للنظام الايرانى الحالى بالذات ..

د - من هو على شريعتى :

من المؤسف ان الخمينى بعد استيلائه على السلطة ، بذل غاية الجهد لطمس الدكتور على شريعتى كمفكر اسلامى ومناضل وقائد ، ولاغرو فى ذلك ، فالمرء يسعى لابل يكافح لدفع منافسه او ضحيته الى زوايا المغمورية والنسيان ، ويجدر بنا قبل ان نتحدث عن على شريعتى ، ان نشير الى الظروف التى عاشها على شريعتى فكرا ومنهجا ، فالدكتور شريعتى لم يكن فقط ذلك المفكر الاسلامى الموسوعى الثقافى الراسخ الايمان ، بل كان ايضا المناضل الشجاع تحت راية الاسلام . وفى ظروف طغت العلمانية بماديتها على كل معتقد ، واصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر ، انها الظروف التى عصفت بالمجتمعات العربية والشرق اوسطية وبحركات التحرر الافريقية والاسيوية ، طوال الخمسينات ومعظم الستينات من هذا القرن فاولادنا قد لايذكرون الآن ، ان التنكر للاسلام يومذاك كان الدليل على الثقافة التقدمية وكان التمسك بالاسلام البرهان القاطع على الجهالة والرجعية وغدت المادية ، او بالاحرى الاشتراكية موضة العصر ، وامست الثورة كلمة مرادفة للصلاح

والفضيلة . واصبحت ثورة الزنج فى البصرة منارا تاريخيا للامة ، والحركة القرمطية ودولتها فى البحرين المثل الاعلى للقومية ، نعم الى ذلك الحد اختلت الموازين وتدهورت القيم وعاش المسلم فى اجواء خانقة من الارهاب الفكرى والتعذيب الجسدى وبهذا تساوى الفكر والشجاعة قيمة وفضيلة ..

ولد الدكتور على شريعتى فى عام ١٩٣٣ فى قرية تقع فى المنطقة الشمالية من مناطق خراسان ، وقد تأثر فى طفولته بوالده الذى كان يدرس مادة التاريخ الاسلامى فى مدارس خراسان ، وبعد ان انهى دراسته الثانوية التحق بجامعة مدينة مشهد حيث تخرج منها ليعمل مدرسا فى مدارس الريف الايرانى ، وفى عام ١٩٥٨م عاد الى جامعة مشهد ليتابع دراسته وقد حصل فى عام ١٩٦٠م على درجة ماجستير فى اللغتين العربية والفرنسية ، وبعد تخرجه ارسلت به الحكومة الايرانية ببعثة علمية الى باريس للحصول على درجة الدكتوراه فى اختصاصه وقد انغمس فى باريس فى العمل السياسى وفى دراسة الفلسفات والنظريات السياسية المتطرفة ، ومن ثم انضم الى حركة التحرير الايرانية وانتسب الى اتحاد الطلاب الايرانيين فى اوروبا وسرعان مااصبح رئيسا لتحرير الصحيفة الايرانية التى كانت تصدر فى باريس باسم جريدة الشعب ولتحرير مجلة « رسائل فارسية شهرية » لسان حال اتحاد الطلبة الايرانيين .

وفى عام ١٩٦٥ عاد على شريعتى الى ايران فالقى به فور عودته فى غياهب السجن حيث امضى فترة تزيد على ستة شهور وبعد الافراج عنه حاول ان يعمل مدرسا فى جامعة طهران

ففشل ، فعاد الى خراسان حيث اخذ يعمل مدرسا فى الريف ، ومن ثم انتقل الى مدينة طهران حيث عمل طوال ستة اعوام محاضرا فى حسينية الارشاد ، وقد جمعت المحاضرات التى القاها فى هذه الحسينية فى خمسين مجلدا ، عدا اشرطة التسجيل المحتوية على دروسه .

الامر الذى جعله من اوسع الشخصيات الايرانية واشدهم نفوذا بين المثقفين والشباب ولاسيما الطلاب منهم ، وقد بلغ من الشهرة حدا ارغم السافاك على اعتقاله واغلاق حسينية الارشاد وقد امتدت فترة سجنه الثانية من عام ١٩٧٢ - ١٩٧٥م حيث افرج عنه وفرضت عليه الاقامة الجبرية فى منزله ، وفى شهر مايو من عام ١٩٧٧م سمح له الشاه بالسفر الى لندن ، وقد توفى بعد شهر من وصوله لندن بجلطة قلبية صاعقة ، ونقل جثمانه الى دمشق حيث دفن ..